

إفتتاحية البحث

الحمد لله الذى بتحميمه يستفتح كل كتاب ، وبذكرة يصدر كل خطاب ، وبحمده يتنعم أهل النعيم فى دار الثواب ، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخى دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ، ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب .

وأشهد أن لا إله إلا الله القوى المتين ، الملك الحق المبين ، الذى لاتنفعه طاعة الطائعين ، ولاتضره معصية العاصين ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات والأرضين ، ذل لكبريائه جبابرة السلاطين ، وعتت لعزته وجوه الطائعين العاكفين ، وتلاشت عند بابه ذنوب التائبين .

أحمده سبحانه حمد الشاكرين ، وأشكره شكر العارفين المقربين ، وأسأله - سبحانه - الإعانة فيما قصدت وهو خير معين .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، ورحمة الله للعالمين ، المؤيد بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لقطع أعدار المارقين ، وإرشاد أولى الرشد المهتدين ، فما قضيه الله إليه حتى أكمل به الدين ، وأوضح به السبيل المستبين ، وإقامة حجة على الخلق أجمعين ، وظهر فى الوجود مصداق قوله - تعالى - : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

فصلى الله على نبينا كلما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون ، وصلى اللهم وسلم على آله وأصحابه الغر الميامين وعلى التابعين لهم بإحسان ، والمقتدين بهم فى كل زمان .

أما بعد ، ، ،

فلقد خلق مولانا - عز و علا - الكون من عدم فقال سبحانه وهو أصدق القائلين ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ (١) .

(١) سورة ق الآية رقم ٣٨ .

وكون هذا شأنه لا بد وأن يعمر فكيف السبيل إلى إعمارهِ؟

قضى الحكيم الخبير الذى أحاط بكل شيء علما بأن يكون إعمار كونه بمخلوق من مخلوقاته وهو الإنسان، فخلق آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتحول إلى إنسان بعد أن ^{كان} جسما من صلصال، وأمر ملائكته بالسجود له يقول سبحانه: ﴿إِذ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١).

لكن آدم لا يمكنه أن يعيش فى هذا الكون الفسيح بمفرده، فخلق الله له حواء لتكون له زوجة ومؤنسا يؤنسه فى وحشته، وركب الله فيه الشهوة وهداه إلى كيفية انفاذها، واخراجها من محبسها بطريق حلال وهو الزواج.

فتزوج آدم من حواء وأنجب منها ذرية تمثلت فى ذكور وإناث.

ومن هنا عرف هذا المخلوق العجيب الزواج بأنه التقاء الذكر بالأنثى فينتج عن هذا الالتقاء البنين والحفدة.

وهكذا سارت السنة فى هذا الكون فى الإعمار حتى تبقى الحياة تسير على منهج منظم مستقيم، فحث آدم ذريته على الزواج ورجبهم فيه وأخبرهم بأنه هو السبيل الوحيد إلى البقاء، وجاء من بعده الأنبياء والمرسلون فتزوج كل واحد منهم وأنجب من الذرية ماقرت به عينه.

وهذا هو محمد ﷺ سيد المرسلين وخاتم النبيين يتزوج - بل وتعدد - ويحث أتباعه على الزواج ويدعوهم إليه لتحقيق مباحاته بهم أمام جميع الأمم يوم القيامة فيقول صلوات ربي وتسليماته عليه ﴿تَنَاجَوْا نَتَاسَلَوْا تَكْشَرُوا فَإِنِّي مَبَاهُ بِكُمْ الْأُمَّمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٢).

وهذا الميثاق العظيم لكى يحقق أهدافه وأغراضه لا بد وأن يكون مبناه على التأييد

(١) سورة ص الآيتان رقما ٧١ - ٧٢.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود فى سننه كتاب النكاح باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء

ج٢/ ٨٧٥ حديث رقم ٢٠٥٠.

حتى لاتنحل عراه لأتفه الأسباب لذلك نراه ﷺ يقول في حديثه النبوي الشريف «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»^(١).

ونراه ﷺ وهو يبحث أتباعه على الزواج، ويبين لهم أن العزوبة خطر، وأنها شر ووباء على المجتمع فقال: «شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم»^(٢) وطبق أصحابه هذا المبدأ الذي سمعوه منه تطبيقاً عملياً، فهذا أحد أصحابه الأجلاء وهو سيدنا سعد بن معاذ يقول في مرض موته «زوجوني حتى لألقى الله عزبا».

لكن هذا الميثاق الغليظ قد تعترضه بعض العوائق، وتقف أمامه بعض الموانع وهذه الموانع منها ما يكون مؤبداً فيقف سداً منيعاً وحاجزاً حصيناً ليمنع من إتمامه بالكلية وذلك كالنسب والرضاع والمصاهرة.

ومنها ما يكون مانعاً مؤقتاً بمجرد زوال هذا المانع يحل لكل من الطرفين أن يلتقى بالطرف الآخر لتحصل البهجة والمحبة، وليكتمل الأناج والسعادة ولتعود سفينة الحياة الزوجية إلى ما كانت عليه محاطة برعاية الله وأمنه لذلك آثرت الكتابة في هذا الموضوع وهو موانع الزواج المؤقتة في الفقه الإسلامي نظراً لما يأتي من أسباب:

١ - عظم هذا العقد وفضله وأهميته.

٢ - الحاجة الملحة إليه حيث أنه عقد ذو شأن عظيم يحتاج إليه كل كائن حي، حتى أننا نرى في الواقع العملي أن عالم النبات يتزوج إلى غير ذلك.

٣ - أن هذه الموانع متناثرة في كتب الفقه الإسلامي، فأرادت بذلك أن أجمع شتاتها في موضوع واحد.

٤ - ندرة الرسائل العلمية التي تحدثت عن هذا الموضوع حتى الذين سبقوني إلى الكتابة في هذا الموضوع كانت كتاباتهم موجزة لا تحقق الهدف المنشود ولا تأتي بالغاية المرجوة.

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطلاق باب في كراهية الطلاق ج٢/ ٩٤٣ حديث رقم ٢١٧٨.

(٢) جزء من حديث رواه أبو ذر عن النبي ﷺ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده مع الفتح الرباني لأحمد عبد الرحمن البنا باب الحث عليه وكراهة تركه للقادر ج٦١ صفحة ١٣٩ - ١٤١.

٥- إبراز ما قدمته الشريعة الإسلامية في هذا المجال ، ليستبين للقارئ أن شريعتنا الغراء ماتركت بابا إلا وطرقته ، وأن لها اليد العليا والفضل الكبير على كل الشرائع التي سبقتها .

المنهج الذي اتبعته في البحث

من المعلوم قطعاً أن البحث عمل بشري ، وكل عمل بشري يكون لصاحبه منهج فيه يتبعه وعليه يسير حتى يخرج بحثه إلى حيز الوجود ، وقد انتهجت في بحثي هذا منهجاً محدداً وحاولت قدر استطاعتي عدم الخروج عنه إلا ما كان من خطأ أو نسيان ، والمنهج الذي اتبعته يتلخص فيما يلي :

١- عند حديثي عن مسألة فقهية أقوم بعرض آراء الفقهاء فيها عرضاً دقيقاً كل مذهب على حده ، وإن كان هناك اتفاق بين أكثر من مذهب أجمع المذاهب جميعها وأطلق عليها أو أعبر عنهم بمذهب جمهور الفقهاء ، وأصدر به المسألة أو أجعله الرأي الأول أو المذهب الأول ، ثم أعرض المذهب المعارض له ، أو المذهب المقابل له بعده مباشرة .

٢- إن كان في المسألة رأي للصحابة أو التابعين أو أحد الأئمة المجتهدين أذكر رأيه وإن كان له دليل على هذا الرأي أذكر دليله بعد أن أذكر رأيه .

٣- كنت حريصاً أشد الحرص على أن أذكر أدلة كل مذهب من كتبه المعتمده ، كما كنت حريصاً كذلك على أن أناقش الأدلة مناقشة موضوعية دون أن أتعصب لمذهب بعينه ، ثم أخرج بعد ذلك بالرأي الراجح وغالباً ما يكون الرأي الراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء .

٤- إن كان في المسألة الفقهية سبب جعل الفقهاء فيها يختلفون أقوم بذكر سبب الخلاف بعد أن أذكر الآراء والمذاهب ، وقبل أن أسرد الأدلة .

٥- قمت بالترقيم لأصحاب كل مذهب ، وكذلك الترقيم على الأدلة بمختلف أنواعها ، وكان هذا الترقيم لكل صفحة على حده ، لأن ذلك أسهل وأيسر على القارئ والمطلع على البحث .

٦- المراجع والمصادر التي أقوم بذكرها لأول مرة في البحث أقوم بذكر اسم المرجع وبعده أذكر المؤلف وسنة مولده وتاريخ وفاته إن وجد ، وبعدهما أقوم بذكر من قام

بالتحقيق إن كان المرجع قد حقق، ثم أذكر دار الطبع التي قامت بالطبع وسنة الطبع، ودار النشر إن كان هناك دار قامت بالنشر.

٧ - عند الاستدلال بآية من القرآن الكريم أقوم فى الهامش بذكر اسم السورة أو لاثم أذكر رقم الآية وأحدد إن كانت هذه الآية آية كاملة أو جزء من آية أو صدر الآية أو آخر الآية.

٨ - عند الاستدلال بالحديث أقوم بتخريجه فى الهامش فأذكر بيانات المرجع إن كان المرجع يذكر لأول مرة، وأذكر موضع الحديث فى الكتاب والباب ورقم الحديث وذلك لأن هذه الطريقة أكثر فائدة وأعم نفعا من غيرها، ويرجع السبب فى ذلك لاختلاف الطبقات.

٩ - أقوم بالحكم على الحديث مع ذكر درجته، وذلك من خلال المصادر والمراجع التى اهتمت بذلك، فإن لم أجد حكما على الحديث، أو لم أصل إلى حكم عليه ذكرته كما هو بدون أن أذكر حكما عليه.

١٠ - كنت حريصا قدر الإمكان على ذكر نبذة مختصرة تفى بالمطلوب عن كل علم من الأعلام لكى تتكون صورة فى مخيلة القارئ عن هذه الشخصية التى كان لها رأى فى المسألة، وكان سدى فى ذلك الرجوع إلى المصادر الأصلية من كتب التاريخ والتراجم.

١١ - كما قمت ببيان معانى المصطلحات، وبعض الكلمات الغريبة لتكون الفائدة أشمل والنفع أعم.

١٢ - اعتمدت فى تقرير الأحكام على المصادر القديمة، وكنت حريصا على نقل رأى كل مذهب من كتبه المعتمده، وتحاشيت أخذ رأى لأى مذهب من كتب غيره.

١٣ - فى بعض الأوقات عند تفنيد القول فى المسألة كنت أستعين ببعض المصادر الحديثة على سبيل الإستئناس، وذلك لتكون الرسالة جامعة بين أصالة الماضى، وعذوبة الحاضر.

خطة البحث

وسوف تكون خطتي في هذا البحث - بمشيئة الله تعالى - في فصل تمهيدى، وبابين أصليين، وخاتمة، وذلك على النحو التالى:

الفصل التمهيدي

وكان الحديث فيه عن تعريف الزواج ومشروعيته وحكمه .
وتناولته فى عدة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الزواج والنكاح عند علماء اللغة، وفى اصطلاح الفقهاء .
المبحث الثانى: مشروعية الزواج، وحكمة مشروعيته، وفوائده .
وكان فيه مطلبان :

المطلب الأول : مشروعية الزواج .

المطلب الثانى : حكمة مشروعية الزواج وفوائده .

المبحث الثالث: وخصصته للحديث عن حكم الزواج .

المبحث الرابع: وجعلته للحديث عن أنواع الأنكحة عند العرب فى الجاهلية .
وأجملته فى المطالب الآتية :

المطلب الأول : نكاح الناس اليوم، ونكاح الاستبضاع والرهن والرايات .

المطلب الثانى : نكاح الشغار .

المطلب الثالث : نكاح الخدن .

المطلب الرابع : نكاح المقت .

المطلب الخامس : نكاح المحلل .

المطلب السادس : نكاح المتعة .

المبحث الخامس: وخصص للحديث عن المانع ومايتعلق به .

وتم تناول هذا المبحث فى مطلبين :

المطلب الأول: تعريف المانع فى لغة العرب، واصطلاح الفقهاء، مع بيان أقسامه.

المطلب الثانى: فى بيان الموانع المؤبدة والمؤقتة للزواج.

وبعد أن انتهيت من الفصل التمهيدى، انتقلت إلى الباب الأول.

الباب الأول

موانع الزواج المؤقتة المتفق عليها بين الفقهاء

ويحتوى على الفصول الآتى بيانها:

الفصل الأول

مانع العدة

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فى تعريف العدة ومشروعيتها، وحكمة مشروعيتها.

ويحتوى على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العدة فى اللغة والإصطلاح.

المطلب الثانى: مشروعية العدة والدليل عليها.

المطلب الثالث: حكمة مشروعية العدة.

المبحث الثانى: أنواع العدد والأحكام التى تتعلق بالمعتدة.

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: أنواع العدد، مع بيان معنى القرء فى لغة العرب، واصطلاح الفقهاء.

المطلب الثانى: أحكام العدة أو مايتعلق بالمعتدة من أحكام.

المبحث الثالث: عدة الآيسة والمستحاضة والمرتابة والكتابية والملاعنة والزانية،

وتداخل العدد، وتحول العدة وانتقالها، ونكاح المعتدة فى عدتها.

وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: عدة الآيسة والمستحاضة. ويتكون من فرعين:

الفرع الأول : عدة الآيسة والتي لاتيحيض . الفرع الثاني : عدة المستحاضة .

المطلب الثاني : ويشتمل على الفروع الآتية :

الفرع الأول : عدة المرتابة أو ممتدة الطهر .

الفرع الثاني : عدة زوجة المفقود ومن في حكمه .

الفرع الثالث : عدة الكتابية والذميه .

الفرع الرابع : عدة المختلعة والملاعنة والزانية والموطوءة بشبهة ، والمنكوحه نكاحا

فاسدا ، والمطلقة دون بيان أو تعيين .

المطلب الرابع : فى تداخل العدد ، وتحول العدة أو انتقالها . ويتكون من فرعين :

الفرع الأول : تداخل العدد . الفرع الثاني : تحول العدة أو انتقالها .

المطلب الخامس : نكاح المعتدة فى عدتها وحكم ذلك .

الفصل الثانى

مانع العَدَدُ

ويحتوى هذا الفصل على المباحث الآتية :

المبحث الأول: تحريم نكاح ما زاد على الأربع ، وموقف الإسلام والأديان من مبدأ

التعدد ، والحكمة فى تعدد زوجاته ﷺ .

ويتكون من ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة على حرمة نكاح ما زاد على أربع ، وآراء العلماء فى معنى الواو

الواردة فى قوله تعالى : ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ ويتكون من فرعين :

الفرع الأول : دليل تحريم ما زاد على أربع .

الفرع الثانى : آراء العلماء فى معنى الواو الواردة فى قول الله تعالى : ﴿ مثنى وثلاث

ورباع ﴾ .

المطلب الثانى : الإسلام وتعدد الزوجات ، وموقف الأديان من هذا المبدأ .

ويتكون من فرعين :

الفرع الأول : الإسلام وتعدد الزوجات .

الفرع الثانى : موقف بعض الأديان من هذا المبدأ .

المطلب الثالث : تعدد زوجاته ﷺ والحكمة من ذلك .

ويشتمل على فرعين :

الفرع الأول : تعدد زوجاته ﷺ والرد على المستشرقين .

الفرع الثانى : تعدد زوجاته ﷺ والحكمة من ذلك .

المبحث الثانى:حكمة تعدد الزوجات ، والاعتراضات التى وردت على ذلك ، وقيود

إباحة التعدد .

ويحتوى على المطالب الآتية :

المطلب الأول : حكمة تعدد الزوجات ، والسبب فى الإقتصار على أربع .

المطلب الثانى : الاعتراضات التى وردت على تعدد الزوجات .

المطلب الثالث : قيود إباحة التعدد .

المبحث الثالث:إذن القاضى فى التعدد، وحكم نكاح ما زاد على أربع .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إذن القاضى فى التعدد .

المطلب الثانى : حكم نكاح ما زاد على أربع .

الفصل الثالث

مانع الجمع

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول:حكم الجمع بين محرمين، ودليل حرمة ذلك .

المبحث الثانى:الجمع بين الأختين من الرضاع، والجمع بينهما بملك اليمين، والجمع

بين المرأة وعمتها وخالتها وحكمة تحريم ذلك .

ويحتوى على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الجمع بين الأختين من الرضاع .

المطلب الثانى : الجمع بين الأختين بملك اليمين .

المطلب الثالث : الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بينها وبين خالتها ، وحكمة تحريم ذلك .

المبحث الثالث: نكاح من يحرم الجمع بينهما فى العدة ، والجمع بين أختين فى عقدين بدون أن يدرى أولاهما .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حكم نكاح من يحرم الجمع بينهما فى العدة .

المطلب الثانى : حكم الجمع بين أختين فى عقدين ولا يدرى أولاهما .

الفصل الرابع مانع الزوجية

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الأدلة على تحريم زوجة الغير .

المبحث الثانى: المراد بقوله تعالى : ﴿واحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ .

المبحث الثالث: حكمة تحريم ذوات الأزواج .

الفصل الخامس

مانع الطلاق الثلاث

ويشتمل هذا الفصل على ستة مباحث :

المبحث الأول: الطلاق فى الجاهلية قبل الإسلام .

المبحث الثانى: تعريف الطلاق ودليل مشروعيته .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الطلاق فى اللغة والإصطلاح .

المطلب الثاني : دليل مشروعية الطلاق .

المبحث الثالث: فى حكم الطلاق ، والحكمة من مشروعيته ، ومن له حق توجيه

الطلاق ، والحكمة من تشريع الطلاق ثلاثا .

ويحتوى على المطالب الآتية :

المطلب الأول : حكم الطلاق .

المطلب الثانى : الحكمة من مشروعية الطلاق .

المطلب الثالث : من له حق توجيه الطلاق .

المطلب الرابع : الحكمة من تشريع الطلاق ثلاثا .

المبحث الرابع: أقسام الطلاق .

المبحث الخامس: آراء الفقهاء فىمن طلق زوجته ثلاث بلفظ واحد ، والحكمة فى تحريم

المرأة بعد الطلاق الثلاث .

ويحتوى على مطلبين :

المطلب الأول : آراء الفقهاء فىمن طلق زوجته ثلاثا بلفظ واحد .

المطلب الثانى : الحكمة فى تحريم المرأة بعد الطلاق الثلاث .

المبحث السادس: نكاح المحلل ورأى شيخ الإسلام ابن تيمية فيه .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نكاح المحلل .

المطلب الثانى : رأى شيخ الإسلام ابن تيمية فى نكاح المحلل .

الفصل السادس

مانع الإحرام

وفيه المباحث الآتية :

المبحث الأول: محظورات الإحرام .

المبحث الثاني: نكاح المحرم.

المبحث الثالث: الحكمة فى تحريم نكاح المحرم.

الفصل السابع

مانع عدم الدين السماوى

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

التمهيد: فى بيان أقسام المشركين.

المبحث الأول: زواج المسلم بالمرأة الكتابية.

وينقسم إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: حكم زواج المسلم بالكتابية.

المطلب الثانى: الحكمة فى حل زواج المسلم من المرأة الكتابية.

المطلب الثالث: زواج الكتابى بالمرأة المسلمة.

المطلب الرابع: إجراءات زواج المسلم بالكتابية.

المطلب الخامس: الزواج بالمرأة الكتابية من غير اليهود والنصارى.

المبحث الثانى: وقد خصص هذا المبحث للحديث عن المشركين ومايراد بهم، والدليل

على عدم الزواج منهم، وبيان طوائفهم وأصنافهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بلفظ المشركين.

المطلب الثانى: الدليل على عدم حل الزواج من المرأة المشركة.

المطلب الثالث: طوائف وأصناف المشركين وحكم الزواج منهن.

الفصل الثامن

مانع الرق

وتكلمت فيه عن حكم نكاح الأمة المسلمة على الحرة، والشروط التى اشترطها

الفقهاء فى ذلك.

الباب الثانى فى الموانع المؤقتة المختلف فيها

ويحتوى على فصلين :

الفصل الأول مانع الزنا وما يشتمل عليه

ويتكون من المباحث الآتية :

المبحث الأول: تعريف الزنا فى اللغة والإصطلاح .

المبحث الثانى: حكم الزنا وأدلة تحريمه .

المبحث الثالث: الحكمة من تحريم الإسلام لجريمة الزنا .

المبحث الرابع: حد الزنا ويجمع المطالب الآتية :

المطلب الأول : عقوبة الزانى فى صدر الإسلام .

المطلب الثانى : عقوبة الزانى فى الإسلام .

ويشتمل على فرعين :

الفرع الأول : حد الزانى المحسن .

الفرع الثانى : حد الزانى البكر .

المبحث الخامس: ثبوت حرمة المصاهرة بالزنا .

المبحث السادس: الزواج بالزانية .

ويشتمل على المطالب الآتية :

المطلب الأول : حكم الزواج بالزانية بعد توبتها .

المطلب الثانى : حكم الزواج بالزانية قبل توبتها .

المطلب الثالث : حكم الزواج بالزانية فى العدة .

المطلب الرابع : هل يفسخ النكاح بزنا الزوجين أو أحدهما ؟

الفصل الثاني فى اللعان وما يتعلق به

ويتكون هذا الفصل من ثمانية مباحث :

المبحث الأول: تعريف اللعان فى اللغة والإصطلاح .

المبحث الثانى: أدلة مشروعية اللعان .

المبحث الثالث: تعريف القذف وألفاظه وممن يكون .

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : تعريف القذف فى لغة العرب واصطلاح الفقهاء وألفاظه

المطلب الثانى : ممن يكون القذف ؟

المبحث الرابع: كيفية اللعان وسننه ومستحباته وشروط صحته .

ويحتوى على أربعة مطالب :

المطلب الأول : كيفية اللعان .

المطلب الثانى : سنن اللعان .

المطلب الثالث : مستحبات اللعان .

المطلب الرابع : شروط صحة اللعان .

المبحث الخامس: حكم اللعان ، وهل يوجب الفرقة أم لا ؟

المبحث السادس: فرقة اللعان هل تجب بلعان الزوج وحده أم بلعانهما ؟

المبحث السابع: نوع الفرقة فى اللعان فسخ أم طلاق ؟

المبحث الثامن: تأبيد التحريم فى اللعان .

الفصل التمهيدي

تعريف الزواج ومشروعيته وحكمه

أتناول هذا الفصل في عدة مباحث :

المبحث الأول

تعريف الزواج

أولاً : تعريف الزواج والنكاح عند علماء اللغة .

ثانياً : تعريف الزواج في اصطلاح الفقهاء .

المبحث الثاني

مشروعية الزواج وحكمة مشروعيته وفوائده

أتناول هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول : مشروعية الزواج .

المطلب الثاني : حكمة مشروعية الزواج وفوائده .

المبحث الثالث

وخصصته للحديث عن حكم الزواج

المبحث الرابع

وجعلته للحديث عن أنواع الأنكحة عند العرب في الجاهلية

وأجملته في المطالب الآتية :

المطلب الأول: النكاح المعروف بين الناس اليوم- ونكاح الاستبضاع والرهط والرايات.

المطلب الثاني: نكاح الشغار.

المطلب الثالث: نكاح الخدن.

المطلب الرابع: نكاح المقت.

المطلب الخامس: نكاح المحلل.

المطلب السادس: نكاح المتعه.

المبحث الخامس

وخصيص للحديث عن المانع ومايتعلق به

حيث ثم تناول هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المانع في لغة العرب واصطلاح الفقهاء مع بيان أقسامه.

المطلب الثاني: في بيان الموانع المؤبدة والمؤقتة للزواج.

المبحث الأول

تعريف الزواج والنكاح

ويحتوى على:

أولاً: تعريف الزواج والنكاح عند علماء اللغة:

ثانياً: تعريف الزواج في اصطلاح الفقهاء.

أولاً: تعريف الزواج والنكاح عند علماء اللغة:

يطلق الزواج في لغة العرب على الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج^(١)، وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري^(٢)، عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك، حيث قال ﷺ: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ابتدرته حجة الجنة قلت وما زوجان من ماله؟ قال: عبدان أو فرسان أو بعيران من إبله»^(٣).

وقد جاء الزوج بمعنى النوع والصنف كثيرا في كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٤) وكقوله عز وجل: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَأَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٥) وكقوله جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾^(٦) ويطلق لفظ الزوج على كل من الرجل والمرأة، فيقال للرجل زوج وللمرأة زوج أيضا وهذه هي اللغة العالية التي جاء بها القرآن الكريم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذلك قال الله تعالى مخاطبا آدم عليه السلام: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٧) وعلى هذه اللغة سار أهل الحجاز فكانوا يضعون لفظ

(١) يراجع لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفریقی المصرى مادة زوج جـ ٢٩٢ / ٢ طبعة دار صادر بيروت طبعة بدون تاريخ.

(٢) هو جندب بن جنادة الغفاري صادق الإسلام واللسان قال رسول الله ﷺ في حقه: «ماأظلت الخضراء ولاأقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»، وقصة إسلامه في الصحيح مشهورة توفى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى جـ ١ / ٣٩ طبعة / دار الفكر بيروت لبنان طبعة أولى سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) يراجع المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المولود سنة ١٦٤هـ والمتوفى سنة ٢٤١هـ جـ ١٥ / ٥٣٢ رقم ٢١٣٤٥ وقال صحيح الإسناد وضع فهارسه وشرحه / أحمد محمد شاكر، وحمزة أحمد الزين طبعة / دار الحديث القاهرة طبعة أولى سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - يراجع موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمى كتاب الجهاد باب النفقة في سبيل الله صفحة رقم ٣٩٧ حديث رقم ١٦٤٩ تحقيق محمد عبد الرازق حمزة طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة بدون تاريخ.

(٤) سورة الحج جزء من الآية رقم (٥).

(٥) سورة الرحمن الآية رقم (٥٢).

(٦) سورة الشعراء الآية رقم (٧).

(٧) سورة البقرة جزء من الآية رقم ٣٥.

الزوج للذكر والأنثى على السواء فيقول الرجل هذه زوجي، وتقول المرأة هذا زوجي، واستدلوا على ذلك بالآية السابقة، وبقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾^(١) أى امرأة مكان امرأة وأما اثبات التاء في المؤنث بأن يقال زوجة فهي لغة بنى تميم، وقد رفض الأصمعي^(٢) ذلك وهو من أئمة اللغة محتجا بعدم ورود ذلك في القرآن الكريم، والصواب عدم اثبات التاء في كل من الذكر والأنثى سيرا مع نصوص القرآن الكريم.

ولكن لا ينبغي أن توصف هذه اللغة بالرداءة أو الرفض وحسبنا في التدليل على فصاحة إثبات التاء في المؤنث نطق النبي ﷺ بها وهو من أفصح العرب، حيث قال ﷺ لعكاف بن بشر التميمي^(٣) في الحديث الذي رواه أبو ذر «يا عكاف هل لك من زوجة»^(٤) والفقهاء يشبتون التاء في المؤنث للإيضاح وخوف لبس الذكر بالأنثى، إذ لو قيل تركة فيها زوج وابن ولم يعلم أذكر هو أم أنثى لحدث اللبس والخفاء^(٥).

قال الفيومي^(٦): الزوج الشكل يكون له نظير كالأصناف والألوان، أو يكون له نقيض كالرطب واليابس والذكر والأنثى، والليل والنهار، والحلو والمر.

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم ٢٠.

(٢) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبتته إلى جدة أصمع، مولدة ووفاته بالبصرة، كان كثير الطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، أخباره كثيرة وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر أثنى عليه علماء عصره تصانيفه كثيرة منها المترادف، والفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان إلخ ذلك، ولد سنة ١٢٢هـ وتوفي سنة ٢١٦هـ الموافقة لسنة ٨٣١م.

الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي ج١ / ١٧١ / طبعة / دار العلم للملايين بيروت لبنان طبعة خامسة سنة ١٩٨٠م.

(٣) هو عكاف بن وداعة الهلالي، ويقال عكاف بن بشر التميمي وروى عن أبي ذر أنه عكاف بن بشر التميمي، وأخرج الإمام أحمد عن عبد الرازق أنه عكاف بن وداعة الهلالي. «أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري المولود سنة ٥٥٥هـ والمتوفى سنة ٦٣٠هـ ج٣ / ٥٦٥ - ٥٦٦ طبعة دار الفكر».

(٤) الحديث سيأتي تخريجه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٥) يراجع لسان العرب ج٢ / ٢٩٢ مادة زوج، تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ ج٣ / ١٣٧ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٦) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس لغوى اشتهر بكتاب المصباح المنير، ولد ونشأ بالفيوم بمصر سنة ٧٧٠هـ - ١٣٦٨ ثم رحل إلى حماه بسوريا فقطنها، له كتب مؤلفة منها: نثر الجمان في تراجم الأعيان وديوان خطب. الأعلام ج١ / ١٧١.

قال ابن دريد^(١): والزواج كل اثنين ضد الفرد فيقال للإثنين المتزاوجين زوجان وزوج أيضا تقول عندي زوج نعال تريد اثنين وعندي زوجان تريد أربعة نعال .

وقال ابن قتيبة^(٢): الزواج يكون واحدا ويكون اثنين، وأنكر النحويون أن يكون الزواج اثنين والزواج عندهم الفرد وهذا هو الصواب .

وقال ابن الأنباري^(٣): والعامية تخطىء فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا في مثل قولهم زوج حمام وإنما يقولون زوجان من حمام أو زوجان من خفاف، ولا يقولون للواحد من الطير زوج بل للذكر فرد وللأنثى فردة^(٤).

وإذا كان الزواج عند أهل اللغة كما سبق بيانه فهل النكاح بمعناه أم أن هناك تغييرا بينهما، هذا ما يظهر من تعريف النكاح .

فالنكاح لغة: الضم والجمع .

وإصطلاحا: عقد بين الزوجين يحل به الوطء^(٥).

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري اللغوي العلامة صاحب التصانيف الكثيرة، أخذ عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني وابن أخي الأصمعي، عاش ثمانيا وتسعين سنة، أثنى عليه علماء عصره، كانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ٢٢٣ هـ ونشأ بها وتعلم فيها وسكن عمان وأقام بها ثنتي عشرة سنة، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زمانا، ثم خرج إلى نواحي فارس، كان كريما لا يمسك درهما ولا دينارا في يده، وينسب إليه من هذه الأمور شيء كثير . شذرات الذهب ج٢/ ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد من أئمة الأدب، ومن المصنفين الكثيرين، ولد ببغداد سنة ٢١٣ هـ / ٧٢٨ م وسكن الكوفة ثم تولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها، وتوفى ببغداد سنة ٢٧٦ هـ ومن كتبه المعاني، والشعر والشعراء، وفضل العرب على العجم، والمسائل والأجوبة إلى غير ذلك . الأعلام ج٤ / ١٣٧ .

(٣) هو الأديب الكبير أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي اللغوي صاحب المصنفات، سمع في صغره من الكديمي واسماعيل القاضي، وأخذ عن أبيه وثعلب وطائفة، وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم، وقال جعفر بن محمد التميمي: ما رأينا أحفظ من ابن الأنباري ولا أغزر بحرا حدثوني عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقا، وحدثت عنه أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها، وقيل عنه أنه أملى غريب الحديث في خمس وأربعين ألف ورقة، وكان سائر ما يصنفه ويمليه من حفظه لامن دفتر ولا كتاب . شذرات الذهب ج٢ / ٣١٥، ٣١٦ .

(٤) يراجع المصباح المنير للعالم العلامة / أحمد بن محمد بن علي الفيومي مادة زوج ص ١٥٧ طبعة / دار الحديث القاهرة طبعة أولى سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٥) يراجع القاموس الفقهي لسعدى أبو حبيب ص ٣٦٠ طبعة دار الفكر بيروت - طبعة ثانية طبعة سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

وأصل النكاح في كلام العرب : الوطاء، وقيل للتزوج نكاح لأنه سبب للوطء المباح .
يقول الجوهري^(١) : النكاح الوطاء، وقد يكون العقد فتقول نَكَحْتُهَا وَنَكَحَتْ هِيَ
أى تزوجت وهى ناكح في بنى فلان أى ذات زوج منهم، ورجل نَكَّحَهُ وَنُكِّحَهُ كثير
النكاح، والإسم منه النُّكَّحُ والنُّكَّحُ وكان الرجل في الجاهلية يأتى الحى خاطبا فيقوم
في ناديهم فيقول خطب أى جئت خاطبا، فيقال له نكح أى قد أنكحناك إياها^(٢)،
والنُّكَّحُ والنُّكَّحُ لغتان وهما كلمتان كانت العرب تتزوج بهما، وكان يقال لأم خارجة
عند الخطبة خَطْبُكُ فتقول نِكِّحُ حتى قالوا أسرع من نكاح أم خارجة^(٣، ٤).

ويقال لمن يكثر من النكاح: إنه لُنَكَّحَهُ من قوم نُكَّحَاتُ، إذا كان شديد النكاح،
كما يقال نكح المطر الأرض إذا اعتمد عليها، ونكح النعاس عينه، وناك المطر الأرض،
ويناك النعاس عينه إذا غلب عليها^(٥).

والنكاح والزواج عند العرب معناهما واحد فالعرب يقولون نكح فلان امرأة
ينكحها نكاحا إذا تزوجها، ونكحها ينكحها إذا باضعها أيضا .

قال الأعرابي^(٦) : نكح بمعنى زوج واستدل على ذلك بقول الشاعر :

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر ولد سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م أول من حاول الطيران ومات في
سبيله، لغوى من الأئمة، خطه يذكر مع خط بن مقلة، أشهر كتبه الصحاح، وله كتاب في العروض
ومقدمة في النحو، أصله من فاراب، دخل العراق صغيرا وسافر إلى الحجاز فطاف البادية وعاد، إلى
خراسان ثم أقام في نيسابور. الأعلام ج١ / ٣١٣ .

(٢) يراجع لسان العرب ج٢ / ٦٢٦ مادة نكح .

(٣) هى عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة البجليه من شريفات النساء في الجاهلية يضرب بها
المثل في سرعة الزواج، ذكرها ابن حبيب في باب النسوة اللواتى كانت إحداهن إذا أصبحت عند
زوجها كان أمرها إليها، إن شاءت أقامت وإن شاءت تركته، وذلك لشرفهن وقدرهن وقال الميداني :
كانت ذواقة تطلق الرجل إذا جربته وتتزوج آخر فتزوجت نيفا وأربعين زوجا ومن نسلها بطون كثيرة
ولدت في العرب في نيف وعشرين حيا . وقال حمزة : كانت علامة ارتضائها الزوج أن تصنع له طعاما
في صباح ليلة الزواج . الأعلام ج٥ / ٧١ .

(٤) يراجع الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ج١ / ١٣٤ تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ط / دار
العلم للملايين .

(٥) يراجع لسان العرب ج٢ / ٦٢٦ مادة نكح .

(٦) هو عامر بن الحارث بن رباح الباهلي، من همدان شاعر جاهلي يكنى أبا قحطان أشهر شعره رائية له
في رثاء أخيه لأمه المنتشر بن وهب أوردها البغدادي برمتها، وقيل اسمه عمر . الأعلام ج٣ / ٢٥٠ .

ولا تقربن جاره إن سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا
واستدل كذلك بقول الله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾^(١) تأويله: لا يتزوج الزانى إلا زانية وكذلك الزانية لا يتزوجها إلا زان .
وقال قوم: معنى النكاح هاهنا الوطء فالمعنى عندهم الزانى لا يوطأ إلا زانية والزانية لا يوطأها إلا زان ، وهذا القول يبعد لأنه لا يعرف شىء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على معنى التزويج ، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾^(٢) فهذا تزويج لاشك فيه . وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣) وهذا يدل على أن عقد الزواج يسمى نكاحا ويؤيد ذلك : أن أهل التفسير أكثرهم على أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين فقراء بالمدينة وكان بها بغايا يزنين ويأخذن الأجرة فأرادوا التزويج بهن فأنزل الله عز وجل تحريم ذلك^(٤) .

وأطلق العرب لفظ النكاح على الأمر الذى يجتمعون عليه فقالوا: (أنكحنا الفرا فسترى)^(٥) وعلى هذا: فإن النكاح في اللغة يطلق على عدة معان:

١ - الزواج: فيقال نكح فلان المرأة أى تزوجها ، ويقال تناكح القوم إذا تزوجوا^(٦) ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾^(٧) ومنه قول الشاعر الذى سبق ذكره:

ولا تقربن جارة إن سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا^(٨)

-
- (١) سورة النور من الآية رقم (٣) .
(٢) سورة النور صدر الآية رقم (٣٢) .
(٣) سورة الأحزاب صدر الآية رقم (٤٩) .
(٤) يراجع لسان العرب جـ٢ / ٦٢٥ مادة نكح .
(٥) أى أضربنا فحل حمر الوحش أنه فسترى ما يتولد بينهما ، فضرب مثلا للأمر يجتمعون عليه ثم يتفرقون عنه .
(٦) يراجع لسان العرب جـ٢ / ٦٢٥ مادة نكح .
(٧) سورة النور جزء من الآية رقم (٣٢) .
(٨) مراد البيت : إما أن يتزوج الأجل أو يعرض عن الزواج فيصير كالوحش والمعنى : إذا لم تتزوج أيها الرجل من النساء فكن منهن كالوحش .

٢- الوطاء: يقال نكح المرأة أى باضعها، ومن النكاح بمعنى الوطاء قوله ﷺ فيما رواه أنس^(١): «يحل للرجل من امرأته الحائض كل شيء إلا النكاح»^(٢).

٣- الضم والتداخل: يقال تناكحت الأشجار إذا تمايلت وانضم بعضها إما بعض، ونكح المطر الأرض إذا اختلط في ثراها.

٤- الغلبة: يقال نكح النعاس عينيه إذا غلب عليهما^(٣).

ولاشك أن هذه المعانى كلها هى المرادة من عقد الزواج، إذن فيمكن القول بأن الزواج والنكاح معناهما واحدا لافرق بينهما.

ثانيا: تعريف الزواج في اصطلاح الفقهاء:

عُرِّفَ الزواج في اصطلاح الفقهاء بتعريفات عديدة إليك بيانها:

تعريف الحنفية: عرف فقهاء الحنفية الزواج بأنه: عقد وضع لتملك المتعة بالأنثى قصدا.

شرح التعريف:

«عقد» المراد بالعقد: مجموع ايجاب أحد المتكلمين مع قبول الآخر، أو كلام الواحد القائم مقامهما. «وضع» المراد بالوضع هنا أنه من وضع الشارع لا من وضع المتعاقدين

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن النجار أبو حمزة الأنصارى الخزرجى، خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه، كناه النبى أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها، ومازحه ﷺ فقال له: يا أبا الأذنين، خدم النبى ﷺ عشر سنين ودعا له النبى فقال «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة» قال أنس: فلقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، وكانت إقامته بعد النبى ﷺ بالمدينة، وشهد الفتوح وقطن البصرة ومات بها، وكان آخر الصحابة موتا بها سنة ٩٠هـ.. الاصابة في تمييز الصحابة لشيخ الإسلام أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ ج١/ ٧١، ٧٣ ط / دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان طبعة سنة ١٨٥٣م.

(٢) حديث صحيح: يراجع في تخريجه سنن أبى داود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدي المولود سنة ٢٠٢هـ والمتوفى سنة ٢٧٥هـ كتاب النكاح باب اتيان الحائض ومباشرتها ج٢/ ٩٢٨ حديث رقم ٢١٦٥ تحقيق د/ السيد محمد سيد وآخرون. طبعة / دار الحديث القاهرة طبعة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - عون المعبود شرح سنن أبى داود لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية كتاب الطهارة باب مؤاكلة الحائض ومجامعتها ج١/ ٤٤٠ / حديث رقم ٢٥٥ تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان. طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. الطبعة الثانية طبعة سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٣) يراجع لسان العرب ج٢/ ٦٢٦.

له . «لتملك المتعة» أى حل استمتاع الرجل من امرأة لم يمنع من نكاحها مانع شرعى قال السرخسى في المبسوط : «وليس المقصود بهذا العقد قضاء الشهوة فقط ، وإنما المقصود المصالح الأخرى العديدة التى من أجلها شرع الزواج ، ولكن الله تعالى علق به قضاء الشهوة ليرغب فيه المطيع والعاصى ، المطيع للمعاني الدينية ، والعاصى لقضاء الشهوة بمنزلة الإمارة ففيهما قضاء شهوة الجاة ، والنفوس ترغب فيه لهذا المعنى أكثر من الرغبة في النكاح حتى تطلب ببذل النفوس وجر العساكر . لكن ليس المقصود به قضاء شهوة الجاة بل المقصود اظهارالحق والعدل ولكن الله تعالى قرن به معنى شهوة الجاة ليرغب فيه المطيع والعاصى فيكون الكل تحت طاعته والانقياد لأمره ، مع أن منفعة العبادة على العابد مقصورة ومنفعة النكاح لا تقتصر على الناكح بل تتعدى إلى غيره ، وما يكون أكثر نفعاً فهو أفضل .

«بالأنثى» خرج بذلك الذكر والخنثى أى المشكل لجواز ذكوره ، والمحارم والجنية وإنسان الماء لاختلاف الجنس . «قصدا» خرج مايفيد الحل ضمنا كسواء أمة للتسرى بها^(١) .

تعريف المالكية: عرف المالكية الزواج بتعريفين :

التعريف الأول: عقد حل تمتع بأنثى غير محرم ، ومجوسية ، وأمة كتابية بصيغة لقادر محتاج أو راج نسل^(٢) .

شرح التعريف:

«عقد» أى تعلق الإيجاب بالقبول ، بأن يكون الإيجاب من الزواج أو من وليه ،

(١) يراجع رد المختار على الدر المختار المعروف بحاشية بن عابدين لفقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصرة العلامة / محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقى المتوفى سنة ١٢٥٢هـ ، ومعه تكملة الحاشية المسماة قرّة عيون الأخيار للسيد / محمد علاء الدين أفندى وهو ابن الشيخ محمد أمين ج٤ / ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ تحقيق / محمد صبحى حلاق وعامر حسين . طبعة / دار احياء التراث العربى ومؤسسة التاريخ العربى بيروت لبنان - طبعة أولى ط سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، شرح فتح القدير للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى السكندرى المعروف بابن الهمام الحنفى المتوفى سنة ٦٨١هـ على الهداية شرح بداية المبتدى لشيخ الإسلام / برهان الدين بن أبى بكر الميرغينانى المتوفى سنة ٥٩٣هـ ج٣ / ١٨٦ طبعة / دار الفكر بيروت لبنان طبعة ثانية بدون تاريخ ، المبسوط لشمس الدين السرخسى ج٤ / ١٩٤ طبعة / دار المعرفة بيروت لبنان طبعة سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٢) يراجع بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للشيخ / أحمد بن محمد الصاوى المالكى على الشرح الصغير للقطب الشهير / أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ج٢ / ٣ ، ٤ ، ٥ طبعة / دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه . طبعة بدون تاريخ .

ويكون القبول من الزوجة أو من وليها. «حل» أى إباحة التمتع بالطريق الحلال المباح «تمتع» أى استمتاع وتلذذ وانتفاع. «بأنثى» أى بالتمتع والتلذذ المراد من الأنثى عادة بكل أنواعه المباحة من وطء وتقبيل وضم ومباشرة وغير ذلك، وقول المصنف حل تمتع بأنثى علة باعثة على العقد. أى أن السبب المباشر من العقد على الأنثى هو التمتع بها حالاً، وهذا قيد في التعريف خرج به سائر العقود كشراء الأمة لأن الأصل من شرائها ليس حل التمتع بها، بل المراد الانتفاع العام وملك الذات فلا يدخل في التعريف.

«غير محرم» وصف للأنثى أى لا يصح العقد على المرأة بقصد التمتع بها إذا كانت محرمة على من يريد العقد عليها من أى جهة من جهات التحريم كنسب أو رضاع أو مصاهرة، فإن عقد على امرأة من هذا النوع كان العقد باطلاً.

«ومجوسية» وصف ثان للأنثى أى غير مجوسية، فلا يصح العقد على المجوسية لأنها غير كتابية «وأمة كتابية» وصف ثالث للأنثى المراد العقد عليها فلو كانت أمة كتابية لم يصح العقد عليها «بصيغة» أى أن عقد الزواج الذى يفيد حل التمتع بالأنثى بالطريق المشروع لا بد وأن يكون بصيغة الإيجاب والقبول. «لقادر» أى أن هذا العقد لا يعقد إلا من يقدر عليه، فمن المعلوم أن عقد الزواج يحتاج إلى نفقة وغير ذلك، وهذه أمور لا بد وأن يكون عاقد العقد قادر على الوفاء بها. «محتاج» فمن يتولى هذا العقد لا بد وأن يكون محتاجاً إليه إما لكسر شهوته، أو لإصلاح منزلة وإن لم يرح نسلاً.

«أوراج نسلاً» فالعاقد قد يكون مشتاقاً إلى النسل والذرية محتاجاً لرؤية الولد. فإن قيل: كان الأولى أن يقول: بأنثى خالية من مانع شرعى فتخرج المجوسية والأمة الكتابية والمحرمة عليه، وتخرج أيضاً الملاعنة والمبتوتة والمعتدة من غيره، والمحرمة بحج أو عمرة. فالجواب أن يقال: أنه قصد بما ذكره إخراج من قام بها مانع أصلى، وأما الملاعنة والمبتوتة والمعتدة من الغير، والمحرمة بحج أو عمرة فمانعهن عرضى طارئ بعد الحل.

التعريف الثانى للزواج عند المالكية: هو عقد على مجرد متعة التلذذ بأدمية غير موجب قيمتها ببينة قبله غير عالم عاقدتها حرمتها إن حرمت بالكتاب على المشهور أو الإجماع على الآخر^(١).

(١) يراجع الفواكة الدوانى للشيخ / أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفاوى المالكى الأزهرى ==

شرح التعريف: «عقد» جنس في التعريف يشمل النكاح وسائر العقود الأخرى «على مجرد» خرج كل عقد ليس على ذلك كسواء الأمة للتلذذ بها. «متعة التلذذ» أى الغرض من العقد المتعة، وخرج بالمتعة كل عقد لا يقصد منه المتعة كالبيع والكراء، وخرج بالتلذذ المتعة المعنوية كالجاة والولاية. «بآدمية» أخرج التلذذ بما سواها كالتلذذ بالطعام والشراب، وأخرج العقد على الجنية، فالعقد على الجنية الظاهر أنه لا يصح وليس كذلك فقد سئل الإمام مالك^(١) رضى الله عنه عن نكاح الجن فقال: لا أرى به بأساً ولكن أكره أن توجد امرأة حامل فتدعى أنه من زوجها الجنى فيكثر الفساد. فقول صاحب المذهب لا بأس يقتضى الجواز والتعليل يقتضى المنع وقد ذكر ابن العربي^(٢) أن نكاح الجن من الإنس جائز عقلاً «بينه قبله» خرج العقد على مجرد التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها بلائنة قبله «غير عالم عاقدها حرمتها» خرج العقد على مجرد التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها بينة قبله عالماً بتحريمها بالكتاب فهو زنا لانكاح، ودخل عقد العالم بحرمتها بالإجماع «إن حرمت بالكتاب على المشهور» أى أن تكون حرمتها بالكتاب كالأخت والعمة ونحوهما، فليس نكاح هؤلاء بنكاح ولا يلحق به الولد. «أو بالإجماع» أى أن تكون الحرمة بالإجماع كحرمة الجمع بين المرأة وعمتها.

== المتوفى سنة ١١٢٠هـ على رسالة أبى محمد عبد الله بن أبى زيد عبد الرحمن القيروانى المالكي المولود سنة ٣١٦هـ والمتوفى سنة ٣٨٦هـ ج٢ / ٢١ / طبعة / دار المعرفة بيروت لبنان، شرح الزرقانى على مختصر سيدى خليل لسيدى عبد الباقي الزرقانى على مختصر الإمام أبى الضياء سيدى خليل ج٣ / ١٦١ - ١٦٢ طبعة دار الفكر بيروت طبعة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل للشيخ / محمد عليش ج٢ / ٣، ٤ طبعة مكتبة النجاح طرابلس ليبيا طبعة بدون تاريخ.

(١) هو أبو عبد الله مالك بن أنس الحميرى الأصبحى إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب الأربعة شهير الفضل كان عالماً كبيراً صلباً في دينه بعيداً عن الملوك والأمراء طلبه الرشيد ليقراً عليه الموطأ فبعث إليه بأن العلم يؤتى ولا يأتى فذهب إليه الرشيد وقرأه عليه. قال فيه الإمام الشافعى: إذا ذكر العلماء فمالك النجم توفى بالمدينة سنة ١٧٩هـ عن ٨٤ سنة وقيل ٩٠ سنة. شذرات الذهب ج١ / ٢٨٩ - ٢٩٢.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافرى الأندلسى الحافظ أحد الأعلام ولد في شعبان سنة ٦٨هـ، ورحل مع أبيه إلى المشرق، ودخل الشام فتفقه بأبى بكر الطرطوشى ولقى بها جماعة من العلماء المحدثين، ودخل بغداد، ورجع إلى مصر والاسكندرية، وعاد إلى بلده بعلم كثير، كان رحمه الله ثاقب الذهن ملازماً لنشر العلم صارماً في أحكامه هيوباً على الظلمة، وله تصانيف كثيرة. طبقات المفسرين للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المولود سنة ٨٤٩هـ والمتوفى سنة ٩١١هـ ص ١٠٥ تحقيق / على محمد عمر طبعة دار الحضارة العربية بالفجالة.

تعريف الشافعية:

عرف فقهاء الشافعية الزواج بأنه: عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح أو تزويج أو ترجمته^(١).

شرح التعريف:

«عقد» المراد من العقد هنا الإيجاب والقبول، فالإيجاب أى الطلب يكون من الزوج أو من وليه، والقبول يكون من الزوجة أو من وليها. «يتضمن إباحة وطء» هذا العقد الذى يتضمن الإيجاب والقبول يبيح للزوج وطء زوجته. «بلفظ إنكاح أو تزويج» فإباحة الوطاء تكون بلفظ النكاح أو الزواج فهما لفظان مترادفان. «أو ترجمته» أى بالألفاظ التى تقوم مقام الكلام كأن يطلب الزوج أو وليه الزواج فتسكت البنت أو الولي، فالسكوت في هذه الحالة يعتبر إقراراً من الزوجة أو من وليها بقبول الزواج.

تعريف الحنابلة:

عرفه فقهاء المذهب الحنبلى فقالوا: هو عقد التزويج^(٢).

أى أنه عقد يعتبر فيه لفظ نكاح أو تزويج أو ترجمته، فعند إطلاقه ينصرف إليه مالم يصرفه عنه دليل.

تعريف الشيعة الزيدية:

عرفوه بأنه: عقد بين الزوجين يحل به الوطاء^(٣).

(١) يراجع معنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج للشيخ / شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني ج٤ / ٢٠٠ تحقيق الشيخ / على معوض وآخرون. طبعة / دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، المجموع شرح المهذب للإمام / محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ مع تكملته الثانية للشيخ / محمد نجيب المطيعي ج١٧ / ٢٧٦ تحقيق د / محمود مطرجى وآخرون. طبعة / دار الفكر بيروت طبعة أولى سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) يراجع المعنى مع الشرح الكبير لابن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٨٢هـ تحقيق د / محمد شرف الدين خطاب وآخرون ج٩ / ١٣٤ طبعة دار الحديث بالقاهرة طبعة أولى سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، كشف القناع على متن الإقناع للشيخ / منصور بن يونس بن إدريس البهوتى الذى فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٦هـ مراجعة وتعليق الشيخ / هلال مصطفى هلال ج٥ / ٥ طبعة دار الفكر بيروت لبنان. طبعة سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الروض المربع شرح زاد المستنقع للشيخ / منصور بن يونس البهوتى ص ٣٦٠ تحقيق / بشير محمد عيون طبعة / مكتبة دار البيان طبعة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) يراجع البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار للإمام / أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠هـ ج٤ / ٣ طبعة دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة.

شرح التعريف:

«عقد» كأي عقد لابد فيه من الإيجاب والقبول «بين الزوجين» أي أن هذا العقد يكون بين الزوج وزوجته. «يحل به الوطاء» أي الغرض من هذا العقد أنه يحل ويبيح للزوج أن يطأ زوجته.

تعريف الزواج عند الإباضية:

عُرِّفَ عندهم بأنه: العقد حقيقة والوطء مجازاً^(١).

واستدلوا على ذلك: بأن لفظ النكاح لم يرد في القرآن الكريم إلا للعقد بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٢) فالمراد من النكاح هنا العقد، وأما اشتراط الوطاء فيه فمن السنة، وقيل إنه حقيقة في الوطاء مجاز في العقد، وقيل إنه حقيقة في العقد والوطء.

نظرة عامة على التعريفات السابقة للزواج:

بالنظر فيما سبق ذكره من تعريفات الفقهاء للزواج يلاحظ عليها مايلي:

١ - أنها عرفت الزواج بأنه عقد لابد فيه من الإيجاب والقبول، فبدون الإيجاب والقبول لا يتم العقد ولا تكتمل أركانه، ومن ذلك يلحظ أن الزواج هو العقد لا الوطاء، وذلك لأن الفقهاء بعد أن اتفقوا جميعاً على أن لفظ الزواج والنكاح بمعنى واحد لا فرق بين كلا اللفظين من حيث الأثر المترتب على أحدهما أو عليهما، وهو الاستمتاع بالمرأة اختلفوا في المراد بكل من اللفظين هل المراد العقد أو الوطاء، أو المراد كلا المعنيين؟

فالحنفية يقولون: إنه حقيقة في الوطاء مجاز في العقد لأن هذا هو الأقرب إلى اللغة.

قال الزمخشري^(٣): وهو من علماء الحنفية. لم يرد النكاح في القرآن إلا بمعنى

(١) يراجع شرح كتاب النيل وشفاء العليل للعلامة / محمد بن يوسف أطفيش ج ٦ / ٥ طبعة مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية. طبعة ثالثة ط سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم (٢٣٠).

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، الملقب جاز الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في رجب سنة ٦٧هـ بمزخشر قرية من قرى خوارزم، وقدم بغداد، وكان ممن برعوا في الأدب والنحو واللغة لدى الكبار، وصنف التصانيف وكان علامة الأدب، ونسابة العرب تضرب إليه أكباد الإبل، له التصانيف البديعة في مختلف الفنون والعلوم مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. طبقات المفسرين ص ١٢١.

العقد لأن كونه بمعنى الوطاء من باب التصريح، ومن أراد به الكناية عنه أتى بلفظ الملامسة أو المماسمة، وأورد عليه قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾^(١) فالمراد به الوطاء^(٢).

والشافعية يقولون: إنه حقيقة في العقد مجاز في الوطاء، وهذا هو الأقرب للشرع كما جاء القرآن الكريم بذلك^(٣)، ولا يرد على قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٤) حيث لم يرد به الوطاء بل أريد به العقد لعدم تجرده عن القرائن، فقد وجدت فيه قرينة وهي استحالة الوطاء منها، لأن الوطاء فعل وهي منفعة لفاعلة^(٥)، وهذا القول هو أصح الأقوال.

وقال بعضهم: إن لفظ العقد والوطاء حقيقة فيهما بالاشتراك كالعين تستعمل في الباصرة والجاسوس، وحمل على هذا النهى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾^(٦) عن العقد وعن الوطاء بملك اليمين معا على استعمال المشترك في معنيه^(٧).
وفائدة الخلاف بين الحنفية والشافعية تظهر فيمن زنى بامرأة.

فإنها تحرم على نفسه وولده عند الحنفية أو على فروعها فتكون حرمتها عليهم ثابتة بالنص، أو حرمة التي عقد عليها عقدا صحيحا فتحرم عليهم بالإجماع، ولا تحرم عند الشافعية^(٨).

٢- جعلت التعريفات الغرض الأول والمقصد الأساسى من عقد الزواج هو الاستمتاع بالأنثى، فالحنفية والمالكية يصرحون بلفظ المتعة، والشافعية والزيدية وكذلك الإباضية يذكرون لفظ الوطاء، والوطاء سبب تتولد عنه المتعة، وذكر الوطاء

(١) سورة النور صدر الآية رقم (٢).

(٢) يراجع مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ج٤ / ٢٠١.

(٣) يراجع نفس المرجع السابق ج٤ / ٢٠٠.

(٤) سورة البقرة جزء من الآية رقم (٢٣٠).

(٥) يراجع رد المختار على الدر المختار ج٤ / ٥٥.

(٦) سورة البقرة صدر الآية رقم (٢٢١).

(٧) يراجع مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ج٤ / ٢٠١.

(٨) يراجع رد المختار على الدر المختار ج٤ / ٥٥، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ج٤ / ٢٠١.

والمتعة ينصرفان صراحة إلى المتعة الجسدية ، فأين اعتبار متعة النسل والإنجاب ، ورؤية الذرية الصالحة التي تقر بها العيون ، والتي حث عليها النبي ﷺ كما سنذكر فيما بعد . فلا ينكر منكر أن تكون المتعة الجسدية مقصدا من مقاصد الزواج ، وهدفا من أهدافه ، ولكن لا ينبغي أن تكون هذه المتعة هي الهدف الأسمى والغاية المنشودة ، بل يجب أن يكون المقصد الأسمى والغاية المرجوة هي تكثير سواد المسلمين تنفيذا لأمر النبي ﷺ جاء في شرح فتح القدير مانصه : « وقد عقلنا أن المقصود من الإنجاب تكثير سواد المسلمين بالطريق الشرعي وعدم انقطاعهم ، ولذا صرح بالعلة الباعثة حيث قال ﷺ « تزوجوا الودود الولود فإنى مكاتر بكم الأمم » (١، ٢) .

٣ - يتبين للناظر في التعريفات السابقة أنهما لم تشر من قريب ولا من بعيد إلى غرض مهم وإلى هدف سام من أهداف الزواج وهو إيجاد السكن النفسى والاستقرار الروحى الذى يجعل من الحياة الزوجية سفينة تسيير باسم الله مجريها ومرساها ، فأين هذا الهدف النبيل الذى أوضحه الله عز وجل في كتابه العزيز حيث قال : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٣) إن الحياة الزوجية إذا خلت من السكن والمودة والرحمة تحولت إلى جحيم لا يطاق ، وصارت محفوفة بالمخاطر والنكبات من كل جانب ، ولعل هذا هو السبب الذى دفع بعض الباحثين المعاصرين إلى وضع تعريف للزواج يشيرون فيه إلى التعاون الذى يجب أن يكون موجودا بينهما ، وأن تحدد الحقوق والواجبات التى تكون على عاتق كل واحد منهما ، ومن هؤلاء الباحثين المعاصرين الشيخ / محمد أبو زهرة - يرحمه الله - فنراه في مؤلفه الأحوال الشخصية يأتى بتعريف يكشف فيه عن حقيقة الزواج ، ويبين المقصود منه في نظر الشارع الحكيم فيعرفه قائلا : « هو عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة وتعاونهما ، ويحدد مال كليهما من حقوق وما عليهما من واجبات » (٤) .

(١) يراجع شرح فتح القدير ج٣ / ١٨٨ بتصرف .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب البعد عن تزويج من لم يلد من النساء ج٢ / ٨٧٥ حديث رقم ٢٠٥٠ .

(٣) سورة الروم جزء من الآية رقم ٢١ .

(٤) الشيخ / محمد أبو زهرة الأحوال الشخصية ص ١٩ مادة ١٢ طبعة دار الفكر العربى .

مع ملاحظة أن الحقوق والواجبات التي تستفاد من هذا التعريف هي من عمل الشارع، ولا تخضع لما يشترطه العاقدان، ولذلك كان عقد الزواج عند أكثر الأمم تحت ظل الأديان لتكتسب آثاره قدسيته فيخضع لها الزوجان عن طيب نفس ورضا بحكم الأديان^(١).

التعريف المختار:

ولعل التعريف المختار هو تعريف الملكية وذلك للأسباب الآتية:

- ١- تعريفهم تعريف جامع مانع إذ نص فيه على الأنثى التي يقصد الزواج منها لا تكون من المحرمات على الزوج ولا من المشاركات، وذلك لأن الملكية من دأبهم ذكر الشروط في التعريفات حتى تكون ضابطة للماهية الصحيحة شرعا.
- ٢- قيد تعريفهم عقد الزواج بكونه لا بد فيه من الصيغة، وهذا القيد خلت منه تعاريف فقهاء المذاهب الأخرى.
- ٣- أوضح التعريف أن الزواج يكون للقادر المحتاج إليه الذي يريد حفظ نفسه وفرجه، وهذا ما لم يشر إليه أى تعريف آخر، لذا فإننى أرى من وجهة نظرى - والله أعلم بالصواب - أن تعريف الملكية هو أرجح هذه التعريفات لكونه أكثر شمولاً وأعم فائدة من غيره.

(١) يراجع نفس المصدر السابق في نفس الموضوع المشار إليه سابقا.

المبحث الثاني

مشروعية الزواج وحكمة مشروعيته وفوائده

أتناول هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: مشروعية الزواج

المطلب الثاني: حكمة مشروعيته وفوائده

المطلب الأول

مشروعية الزواج

تضافت النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة على مشروعية الزواج
وهاك بيانها :

أولاً: القرآن الكريم

تعددت الآيات الكريمة التي تدل على مشروعية الزواج منها :

١ - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (١).

وجه الدلالة: نادى الله عز وجل على الناس جميعاً، فطلب منهم أن يتقوه لأنه خلقهم جميعاً من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه السلام، وخلق من نفس آدم حواء، وفرق ونشر في الأرض من هذين النفسين ذرية كثيرة تمثلت تلك الذرية في الرجال والنساء، وفي الآية دلالة واضحة على مشروعية الزواج وأنه سنة من سنن الله في خلقه .

٢ - قوله جل شأنه: ﴿ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (٢).

وجه الدلالة: في الآية الكريمة خطاب من الله تعالى للرجال بأن ينكحوا ما أحله لهم من النوع الطيب الحلال من النساء، فله أن ينكح منهن مثنى وثلاث ورباع، وبذلك يكون الأصل في الزواج التعدد ولكن بشرط أن يعدل بينهما، وأن تكون لديه القدرة على الإنفاق عليهن، فإن فقد الزوج الشرطين أو فقد أحدهما فعليه أن يكتفى الواحدة حتى لا يأتي يوم القيامة وشقه (٣) مائل (٤) أخذاً من قوله ﷺ « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » (٥).

(١) سورة النساء صدر الآية رقم (١) .

(٢) سورة النساء جزء من الآية رقم (٣) .

(٣) أى أحد جنبه وطرفه .

(٤) مائل : أى مفلوج .

(٥) حديث صحيح : أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب في القسم بين النساء ج٢ / ٩١٣ حديث

رقم ٢١٣٣ ، وأخرجه الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المعروف بابن ماجه في سننه المولود

سنة ٢٠٧هـ والمتوفى سنة ٢٧٥هـ كتاب النكاح باب القسمة بين النساء ج١ / ٦٣٣ حديث رقم

١٩٦٩ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي طبعة / المكتبة العلمية بيروت لبنان .

٣- قوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (١).

وجه الدلالة: يخبر الحق سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ أنه قد أرسل من قبله أنبياء ورسلا، وأنه عز وجل جعل لكل نبي من هؤلاء زوجة أو زوجات كثيرات، وجعل لأنبيائه ورسله من هذه الزيجات ذرية تقربها عيونهم، وتفرح بها قلوبهم، وتنشرح لها صدورهم، ومحمد الذي وُجِّه إليه الخطاب، والذي خُصَّ بالنداء إلا نبي من الأنبياء، فعليه أن يمثّل أمر ربه، وأن يخضع لسنة مولاه في خلقه فيتزوج وينجب وكذلك أمته تقتدى به، فيتزوجون ويتوالدون ويتناسلون ويتكاثرون عملا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢).

٤- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (٣).

وجه الدلالة: امتن الله تعالى على خلقه بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا، والمراد نفس آدم عليه السلام، وجعل عز وجل من الأزواج بنين وحفدة، فجعل من الأزواج ذكورا وإناثا، وجعل من هؤلاء وأولئك حفدة حتى تتم الفرحة، ويكتمل الأنس والبهجة، ومارؤية البنين والحفدة إلا عن طريق الزواج والتقاء الذكر بالأنثى بالطريق المشروع الذي رسمه الله عز وجل.

٥- يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

وجه الدلالة: في الآية الكريمة خطاب من الله عز وجل للأولياء بأن ينكحوا ويزوجوا الأيامي^(٥) من الأكفاء، ويحتمل أن يكون الخطاب موجها إلى الأزواج بأن يتزوجوا

(١) سورة الرعد صدر الآية رقم (٣٨).

(٢) سورة الأحزاب صدر الآية رقم (٢١).

(٣) سورة النحل صدر الآية رقم (٧٢).

(٤) سورة النور الآية رقم (٣٢).

(٥) الأيامي: جمع أيم. والأيم العزب رجلا كان أو امرأة قال الصنعاني: وسواء تزوج من قبل أو لم يتزوج فيقال رجل أيم وامرأة أيم. قال الشاعر:

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوان سعد ليس فيهم أيم .

وقال ابن السكيت أيضا: فلانة أيم إذا لم يكن لها زوج بكرا كانت أو ثيبا، ويقال أيضا للأنثى أيمة، وأم يئيم مثل سار يسير، والأيمة إسم منه، وتأيم مكث زمانا لا يتزوج والحرب مأيمة لأن الرجال ==

الأيامى عند الحاجة، وفي الآية بشارة من الله عز وجل ووعد بالغنى للمتزوجين طلباً لرضا الله، وخوفاً من الوقوع في معاصيه. وفي المراد من قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ تأويلان:

(أ) إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ إِلَى النِّكَاحِ يَغْنَهُمُ اللَّهُ عَنِ السَّفَاحِ.

(ب) إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ إِلَى الْمَالِ يَغْنَهُمُ اللَّهُ بِقِنَاعَةِ الصَّالِحِينَ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ «الْتَمَسُوا الْغِنَى فِي النِّكَاحِ» وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «عَجِبِي لِمَنْ لَا يَطْلُبُ الْغِنَى فِي النِّكَاحِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَرَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً^(١).

٦ - وَمِنَ الْآيَاتِ أَيْضاً: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾^(٢).

وجه الدلالة: يبين سبحانه أن من صفات عباد الرحمن أنهم يدعون ربهم آناء الليل وأطراف النهار، ويتضرعون إليه في خشوع وانكسار، طالبين منه أن يبارك لهم في أزواجهم وفي ذرياتهم، وأن يهب لهم من ذرياتهم نسلاً تقرببه عيونهم، وتنشرح به صدورهم.

٧ - وَمِنَ الْآيَاتِ كَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٣).

وجه الدلالة: في الآية القرآنية يمتن الله عز وجل على الرجال بأن من علامات ربوبيته ووحدانيته عليهم أن جعل لهم من نطفهم ومن جنسهم نساء يسكنون إليها، وجعل بينهم مودة وهو الجماع ينتج عنه الرحمة وهي الولد^(٤).

== تقتل فيها فتبقى النساء بلا أزواج، ورجل إيمان ماتت امرأته وامرأة أيمى مات زوجها، وأصل أيامى «أيام» فنقلت الميم إلى موضع الهمزة ثم قلبت الهمزة ألفاً، وفتحت الميم تخفيفاً. المصباح المنير ص ٢٥ - ٢٦ - مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص ٣٠ طبعة دار الحديث بالقاهرة طبعة أولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ ج ١٢ / ١٦٠ تحقيق / سالم مصطفى البدرى طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة أولى ط سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الفرقان جزء من الآية رقم (٧٤).

(٣) سورة الروم من الآية رقم (٢١).

(٤) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٤ / ١٣.

ثانياً: السنة النبوية:

تضافرت الأدلة من السنة النبوية المشرفة لتُدلّل وتُبهرهنّ على مشروعية الزواج،
ومن هذه الأدلة مايلي:

١ - مارواه البخارى^(١) ومسلم^(٢) في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود^(٣) رضي
الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يامعشر^(٤) الشباب^(٥) من استطاع منكم الباءة^(٦) فليتزوج

(١) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخارى، جبر الإسلام صاحب الصحيح والتصانيف،
ولد سنة ١٩٤ هـ ببخارى، رحل في طلب العلم إلى سائر محدثى الأمصار فسمع عن ألف شيخ أو
أكثر، كان من أوعية العلم يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله. أثنى عليه أئمة الإسلام قاطبة بما يطول
ذكره، وقد أجمعوا على صحة كتابه توفى سنة ٢٥٦ هـ. شذرات الذهب ج٢ / ١٣٤ .

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري الحافظ صاحب الصحيح أحد أركان
الحديث، رحل في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعترف له بالتقدم فيه بلاخلاف بين أهل الحدق
والعرفان، توفى سنة ٢٦١ هـ بنيسابور، وله في علم الحديث مصنفات كثيرة منها الصحيح والعلل .
شذرات الذهب ج٢ / ١٤٤ - ١٤٥ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج١٢ / ٢٣٢ طبعة دار إحياء
التراث العربى بيروت لبنان .

(٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من صحابة رسول الله ﷺ ومن
أكبرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام، هاجر
الهجرتين وصلى إلى القبلتين وشهد له الرسول بالجنة، وسبب إسلامه: أنه مر عليه النبي ﷺ وهو
يرعى غنماً بمكة لعقبة بن أبي معيط، فأخذ النبي منه شاة حائلاً وحبها فشرب وسقى أبا بكر، فقال
ابن مسعود علمنى من هذا القول، فمسح النبي ﷺ على رأسه وقال: إنك عليم معلم، وهو أول من
جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة، نظر إليه عمر بن الخطاب يوماً وقال: «وعاء ملئ علماً. ولى بعد وفاة
الرسول ﷺ بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان وتوفى فيها سنة ٣٢ هـ.
شذرات الذهب ج١ - ٣٨ - ٣٩ - الأعلام ج٤ / ١٣٧ .

(٤) المعشر: هم الطائفة الذين يشملهم وصف، فالشباب معشر والشيوخ معشر، والأنبياء معشر والنساء
معشر .

(٥) الشباب: جمع شاب ويجمع على شبان والشباب من بلغ ولم يجاوز ثلاثين سنة، ثم هو كهل إلى أن
يجاوز الأربعين، ثم هو شيخ. «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد
بن علي بن محمد الشوكاني ج٦ / ١٤٢ تحقيق د/ نصر فريد واصل طبعة المكتبة التوفيقية» .

(٦) الباءة: فيها أربع لغات حكاها القاضي عياض . الفصيحة المشهورة بالمد والهاء، الثانية: الباء بلامد،
الثالثة: الباء بالمد بلاهاء، الرابعة: الباهة بهائين بلامد وأصلها في اللغة: الجماع مشتقة من المباءة وهي
المنزل، ومنه مباءة الإبل وهي مواطنها ثم قيل لعقد النكاح بباءة لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً .
«صحيح مسلم شرح النووي للإمام/ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المولود سنة ٦٣١ هـ
والتوفى سنة ٦٧٦ هـ ج٩ / ٥٠١ تحقيق / صلاح عويضة طبعة مكتبة فياض ودار المنار .

فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعلية بالصوم فإنه له وجاء» (٢٠١).

وجه الدلالة: ينادى النبي ﷺ على طائفة معينة وهم الشباب، وخصهم بالنداء لأنهم أكثر شهوة من غيرهم، فأرشدهم ﷺ إلى أن من استطاع منهم الباءة فعليه بالزواج وكلمة الباءة هنا تحتل معنيان: المعنى الأول لها وهو الجماع، والمعنى الثاني لها وهو مؤن النكاح، ومن لم يستطع منهم القدرة على هذا ولاذاك ولا على كليهما فعليه بأن يكثُر من الصيام، مع ملاحظة أن الأمر بالصيام هنا ليس للوجوب لكنه أمر نذب وارشاد وعلى هذا سار جمهور الفقهاء، وقد أرشد ﷺ إلى الصوم دون غيره من العبادات الأخرى لما في الصوم من الجوع والعطش والامتناع عن مشيرات الشهوة ومستدعيات طغيانها مما يجعل الشباب يتعدون عن الوقوع في المحذور.

٢ - «ماروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: جاء ثلاثة رهط (٣) إلى بيوت

(١) الوجاء: هو رض الخصيتين، والإخصاء سلبهما وأصل الوجاء الغمز ومنه وجأه في عنقه إذا غمزه، ووجأه بالسيف إذا طعنه به، ووجأ أنثيه أى غمزها حتى رضهما، وتسمية الصيام وجاء استعارة والعلاقة المشابهة، لأن الصوم لما كان مؤثرا في ضعف شهوة النكاح شبه بالوجاء «يراجع نفس المصدر السابق ج٩ / ٥٠١».

(٢) حديث متفق عليه: يراجع في تخريجه: صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى مع شرحه فتح البارى للإمام الحافظ أحمد بن على بن حنبل العسقلانى المولود سنة ٧٧٣هـ والمتوفى سنة ٨٥٢هـ كتاب النكاح باب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ج٩ / ١٣٣ حديث رقم ٥٠٦٥ وأخرجه كذلك في كتاب الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة ج٤ / ١٤٧ رقم ١٩٠٥ حقق أصل الطبعة / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها / محمد فؤاد عبد الباقي طبع ونشر مكتبة الإيمان، صحيح مسلم شرح النووى كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ج٩ / ٥٠١ رقم ١٤٠٠، سنن الترمذى للإمام / أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة كتاب النكاح باب ماجاء في فضل التزويج والحث عليه ج٣ / ٣٨٣ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار الحديث القاهرة، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لعلاء الدين على بن بلبان الفارسى المتوفى سنة ٧٣٩هـ كتاب النكاح ج٦ / ١٣٣ تحقيق / كمال يوسف الحوت طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة أولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، سنن النسائى للحافظ جلال الدين السيوطى بحاشية الإمام السندى كتاب النكاح باب الحث على النكاح ج٦ / ٥٨ طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٣) الرهط: بفتح الهاء وسكونها، والسكون أفصح وهو جمع لا واحد له من لفظه، والرهط مادون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، وrehط الرجل قومه وقبيلته الأقربون، والثلاثة هم على بن أبى طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون.

أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها^(١) فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر ماتقدم من ذنبه وماتأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر كله ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني^(٢).

وجه الدلالة: في الحديث الشريف واقعة حدثت مع بعض أصحاب النبي ﷺ نتجت هذه الواقعة عن سؤال هؤلاء الصحابة عن عبادته ﷺ لربه، فلقد ذهبوا إلى بيته ﷺ وكان عددهم ثلاثة ليقفوا على حاله ﷺ في العبادة ليتأسوا به أخذا من قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣) فلما وقفوا على حالة في العبادة ظنوا أنها قليلة لا تؤهلهم للفوز بالجنة ونعيمها إن هم فعلوها كما فعلها النبي ثم قالوا وأين نحن من رسول الله؟ هناك فرق بيننا وبينه، فهو الذي غفرت له ذنوبه، ومحيت عنه أوزاره كمانص القرآن الكريم على ذلك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٤) فحاولوا الوصول إلى درجة ترقى بهم إلى الكمال فألزم كل واحد نفسه بأمر يفعله، فعلم النبي بذلك فوجه إليهم اللوم والعتاب قائلا لهم: وأنتم الذين قلتُم كذا وكذا، وفي رواية الإمام مسلم للحديث أنه ﷺ جمع الناس وخطب فيهم قائلا «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا» وذلك ليشمل الخطاب الشخص المقصود وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغهم ذلك حتى لا يحصل توبيخ للشخص المراد توجيه النصح

(١) تقالوها: بتشديد اللام المضمونة، أى استقلوها، وأصل تقالوها أى رأى كل منهم أنها قليلة.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى في صحيحه مع شرحه فتح البارى كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ج٩/ ١٢٩ حديث رقم ٥٠٦٣، وأخرجه مسلم في صحيحه شرح النووى كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه ج٩/ ٥٠٣، وأخرجه الترمذى في سننه كتاب النكاح باب ماجاء في النهى عن التبتل ج٣/ ٣٨٥، وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب النكاح باب النهى عن التبتل ج١/ ٥٩٣ حديث رقم ١٨٤٨ وأخرجه النسائى في سننه كتاب النكاح باب النهى عن التبتل ج٦/ ٦٠.

(٣) سورة الأحزاب صدر الآية رقم (٢١).

(٤) سورة الفتح الآيتان رقما (١، ٢).

إليه أمام الملاءم فالنصيحة في الملاءم فضيحة ثم بين النبي لهم أنه مع كونه لا يشدد على نفسه في العبادة فهو أشد منهم خشية لله وأكثرهم تقوى لمولاه، لأن المتشدد في العبادة قد يصاب بالملل بخلاف المقتصد فخير العمل مادام عليه صاحبه .

وليس المراد بقوله ﷺ «فليس مني» أن فاعل هذا ليس على ملته ﷺ لأن هذا نوع من أنواع الكفر، بل المراد أن فاعل هذا يعتبر معرضاً إعرافياً يفضى به إلى اعتقاد أرجحية عمله .

وفي الحديث دلالة واضحة على فضل النكاح والترغيب فيه، فقد فعله النبي ﷺ وحث على فعله، وعاب على الذين أرادوا تركه ولنا في أفعاله ﷺ وأقواله القدوة والأمنة الحسنة وصدق العلي العظيم إذ يقول ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) .

٣ - ماروى عن أبي هريرة (٢) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٣، ٤)

وجه الدلالة: يخبر النبي ﷺ أن الرجال يرغبون في نكاح النساء من أجل أمور أربع، هذه الأمور هي مَحَطُّ أنظار الرجال في كل العصور، وعلى مر الأزمان، فيرغب الرجل في المرأة من أجل المال، والمال معروف، وبعضهم يختار زوجته من أجل حسبها والمراد بالحسب هنا الشرف، والحسب في الأصل الشرف بالآباء والأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثراً بآئهم وقومهم وحسبها فيحكم

(١) سورة الحشر جزء من الآية رقم (٧) .

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة صحابي جليل، كان كثير العبادة والذكر حسن الأخلاق، ولى إمرة المدينة، وكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث فقد روى ٥٣٧٤ حديثاً، وفيه وفي الكثيرين من رواية الحديث قيل:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا * من الحديث عن اختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس * صديق وابن عباس وكذا ابن عمر
ومناقبه وفضائله كثيرة مات سنة ٥٧ هـ وقيل ٥٩ هـ . شذرات الذهب ج١ / ٦٣ - ٦٤ .

(٣) تربت: من ترب إذا افتقر فلصق بالتراب، وهذه كلمة تجرى على لسان العرب في مقام المدح والذم ولا يراد بها الدعاء على المخاطب دائماً، وقد يراد بها الدعاء أيضاً .

(٤) متفق عليه: أخرجه البخارى في صحيحه مع شرحه فتح البارى كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين ج٩ / ١٦٥ حديث رقم ٥٠٩٠، وأخرجه مسلم في صحيحه شرح النووي كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ج١٠ / ٤١ حديث رقم ١٤٦٦، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب ما يؤمر به تزويج ذات الدين ج٢ / ٨٧٤ حديث رقم ٢٠٤٧، وأخرجه الترمذى في سننه كتاب النكاح باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال ج٣ / ٣٨٧ حديث رقم ١٠٨٦ .

لمن زاد عدده على غيره، وقد يكون الاختيار عن طريق الجمال، وفي الحديث دليل على استحباب تزوج الجميلة إلا إذا كانت جميلة غير دينية أو تساوى عندها الجمال والدين فالجميلة أولى، لأن المرأة الجميلة تكون أكثر عفة لزوجها فلا تجعل زوجها ينظر لغيرها في الغالب الأعم، وآخر شيء ينظر الناس إليه هو الدين وأخره النبي لأن الناس يجعلونه آخر شيء ينظرون إليه، ثم أرشد النبي إلى أن أفضل أساس من هذه الأسس هو الاختيار على أساس الدين فقال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك، والمعنى فز بصاحبة الدين لأن أصحاب المروءة العالية والهمة الصادقة هم الذين يقدمون الدين على كل شيء، أما غيرهم فقد أصابهم نهيه ﷺ حين قال «لاتتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن^(١) ولاتتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن^(٢)»، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء^(٣) سوداء ذات دين أفضل^(٤).

٤ - ماروى عن جابر بن عبد الله^(٥) رضى الله عنه أنه قال: «تزوجت امرأة فقال لى رسول الله ﷺ هل تزوجت؟ قلت نعم. قال: أبكرا أم ثيبيا؟ قلت: ثيبيا قال: فأين أنت من العذارى ولعابها^(٦)» قال شعبة: «فذكرته لعمر بن دينار فقال: سمعته من جابر وإنما قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك^(٧)».

(١) يُرَدِّيَهُنَّ: أى يوقعهن في الهلاك بالإعجاب والتكبر.

(٢) تُطْغِيَهُنَّ: أى توقعهن في المعاصى والشرور.

(٣) خَرَمَاء: أى مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأذن.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب تزويج ذات الدين ج١ / ٥٩٧ حديث رقم ١٨٥٩، وأخرجه الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المولود سنة ٥٨١هـ والمتوفى سنة ٦٥٦هـ في الترغيب والترهيب كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح لاسيما بذات الدين الولود ج٣ / ٩٢ حديث رقم ٢٨٩٢ تحقيق / أيمن صالح شعبان طبعة دارالحديث بالقاهرة طبعة أولى سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٥) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصارى السلمى، يكنى أبا عبد الله أحد الكثيرين من الرواية عن النبي ﷺ له ولأبيه صحبة، وهو ممن شهد العقبة وغزا مع النبي تسع عشرة غزوة، كان له حلقة في المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم فيها، مات بالمدينة سنة ٧٤هـ وقيل ٧٨هـ وقيل غير ذلك. الإصابة في تمييز الصحابة ج١ / ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٦) بكسر اللام مصدر من الملاعبة، يقال لاعب لعابا وملاعبة مثل قاتل قتالا ومقاتلة، ووقع في بعض الروايات بضم اللام، والمراد به الريق، وفيه إشارة إلى مص لسانها ورشف شفيتها وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل. فتح البارى ج٩ / ١٥٣.

(٧) متفق عليه: أخرجه البخارى في صحيحه مع شرحه فتح البارى كتاب النكاح باب تزويج الثيبات ج٩ / ١٥٢ حديث رقم ٥٠٨٠، وأخرجه مسلم في صحيحه شرح النووى كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر ج١٠ / ٤٢ حديث رقم ١٤٦٦، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب في تزويج الأبكار ج٢ / ٨٧٤ حديث رقم ٢٠٤٨.

وجه الدلالة: في الحديث النبوي الكريم يوجه النبي ﷺ سؤال جابر بن عبد الله أحد الصحابة الملازمين له ولقد كان من عادته عليه السلام أن يتفقد أحوال صحابته ويتعهد أمورهم وشئونهم ويسأل عن أحوالهم، وهنا يوجه النبي السؤال إلى جابر وكان ذلك عقب عوده جابر من إحدى الغزوات مع رسول الله ﷺ هل تزوجت؟ فأجاب جابر على النبي نعم أى تزوجت؟ فقال النبي أبكرا أم ثيبا؟ فقال جابر بل ثيبا سبق لها الزواج قبل ذلك.

فقال له النبي يحضه على الزواج من البكر فهي أفضل حالا من غيرها لكونها تتميز بميزات لا تتميز بها الثيب، وهذه الميزات هي التي ذكرها النبي في حديث آخر حيث قال: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها^(١) وأنتق أرحاما^(٢) وأرضى باليسير^(٣، ٤) ولمافي الزواج بها من الألفة التامة فإن الثيب قد يكون قلبها معلقا بزوجها الأول فلا تكون محبتها كاملة بخلاف البكر، لكن جابر بن عبد الله أجاب على النبي مبينا له الحكمة والعلة التي دفعته إلى ذلك، فدعا له النبي بالبركة.

ثالثا: الإجماع:

أجمعت الأمة على أن الزواج مشروع شرعه الله عز وجل لتحصين الفروج وتهذيب النفوس، ولم يخالف في هذه المشروعية أحد من علماء الأمة، ولا من عوامها، وذلك لأن المشروعية ثبتت بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وثبتت أيضا بالسنة النبوية المطهرة التي هي الأصل الثاني في التشريع، فالأدلة قطعية الدلالة والثبوت لامجال فيها للشك أو الاعتراض.

ولذلك فإننا نرى كثيرا من الفقهاء يصرحون بإجماع الأمة على مشروعيته، ومن هؤلاء على سبيل المثال:

-
- (١) المراد عذوبة الريق، وقيل هو مجاز عن حسن كلامها، وقلة بذائها وفحشها مع زوجها لبقاء حيائها، فإنها ماخالطت زوجها قبلة.
 - (٢) أى أكثر أولادا، يقال للمرأة الكثيرة الولد نائق لأنها ترمى بالأولاد نتقا، وانتق الرمي.
 - (٣) المراد المال والجماع ونحوهما.
 - (٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب تزويج الأبكار ج١/ ٥٩٨ حديث رقم ١٨٦١.

١- الإمام الماوردي^(١) حيث قال في مستهل حديثه عن النكاح «أباح الله تعالى النكاح نصا في كتابه، وصريحا في سنة نبيه ﷺ انعقد بهما سالف اجماع الأمة، وتأكد بهما سالف العترة»^(٢،٣).

٢- يقول صاحب معنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج «والنكاح شرع من عهد آدم عليه السلام واستمرت مشروعيته، بل هو مستمر في الجنة، ولانظير له فيما يتعبد به من العقود بعد الإيمان»^(٤).

٣- «الأصل في مشروعية النكاح الكتاب والسنة والإجماع، وأجمع المسلمون على أن النكاح مشروع»^(٥) وقائل هذه العبارة الإمام ابن قدامة^(٦) رحمه الله.

المطلب الثاني

حكمة مشروعيته وفوائده

الزواج رابطة قوية ونظام اجتماعي يرقى بالإنسان عن الدائرة الحيوانية إلى العلاقة الروحية، ويرتفع به من مكان الوحدة والانفراد إلى أحضان السعادة وأنس الاجتماع، لذلك شرعه الحق سبحانه وتعالى لحكم عالية ومعان سامية منها:

١- أن فيه ترويح للنفس وبعدها عن السامة والملل، وهو عماد الأسرة التي منها يتكون المجتمع البشري حتى يأذن الله بنهاية هذه الحياة الدنيا.

٢- وبه تتكون الصفات الإنسانية الراقية كالإيثار وحب الغير، ومعرفة مال الإنسان

(١) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي أقضى قضاة عصره، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء، ونسبته إلى ماء الورد، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ وله كتب كثيرة منها الحاوي الكبير في فقه الشافعية والأحكام السلطانية. الأعلام ج٤ / ٣٢٧.

(٢) العترة: هم أهل الرجل وعشيرته الأذنون، والمراد هنا آل رسول الله ﷺ.

(٣) يراجع الحاوي الكبير للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المولود سنة ٣٦٤هـ والمتوفى سنة ٤٥٠هـ ج١ / ٣ / تحقيق د/ محمود مطرجي وآخرون. طبعة دار الفكر بيروت - لبنان. طبعة سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٤) يراجع معنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ج٤ / ٢٠١.

(٥) يراجع المعنى مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٥.

(٦) هو عبد الله محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الدمشقي الحنبلي أبو محمد موفق شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني فقيه من أكابر الحنابلة، ولد في جماعيل من قرى نابلس بفلسطين سنة ٥٤١هـ، وتعلم في دمشق وفيها وفاته سنة ٦٢٠هـ، وله تصانيف منها المعنى، وروضة الناظر في أصول الفقه، والكافي في الفقه. الأعلام ج٤ / ٦٧.

من حقوق وما عليه من واجبات .

٣- وعليه حفظ النوع الإنساني كاملاً ليندرج في مدارج الرقى والكمال بالتناسل الشريف القوى، لأن الزنى لا يحفظ هذا النوع من الانقراض، وإن حفظه ففي ظل حياة وضعية مفككة الأوصال يلفظها كل مجتمع سليم .

٤- وفيه راحة حقيقية لكل من الزوجين . أما الزوج فعندما يعود من مشاق عمله ومتاعب الحياة الدنيا، يجد في بيت الزوجية أنسا وبهجة وراحة لضميره وارضاء لعواطفه، وتحقيقاً لأغراضه، وأما الزوجة فلأنها مطمئنة إلى من يكد نفسه للحصول على رزقها ومتاع أولادها فتأخذ نفسها جادة في إدارة شئون المنزل وما يتطلبه الأولاد من عناية ورعاية، وفي ذلك مرافقة لطبعها وغرائزها وراحة لضميرها وداع إلى الاشفاق على صيانة ماله وحفظ غيبته في بعده عن داره .

٥- وبه يحل استمتاع كل واحد من الزوجين بالآخر في اشباع رغبته الجنسية بطريق منظم يحفظ الأنساب ويصون الأعراض عن دنس الأحباب والأصحاب .

٦- وقد اجتمع فيه دواعى الشرع والعقل والطبع، أما دواعى الشرع فظاهره من الآيات الواردة في شأنه في الكتاب وكذلك السنة وإجماع علماء الأمة .

وأما دواعى العقل : فإن كل عاقل يحب أن يبقى اسمه ولايمحى رسمه، ولا يكون ذلك إلا ببقاء النسل، وأما دواعى الطبع فلأن الطبع البهيمى من الذكر والأنثى يدعو إلى تحقيق ما أعد له من المباحات الشهوانية والمضاجعات النفسانية .

من هذا يتبين للجميع على مرأى ومسمع أن أغراض التشريع الإسلامى من الزواج نبيلة وسامية، وأنه مظهر من مظاهر الرقى البشرى، ولعل هذا هو السر في قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (١) وقوله ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (٢، ٣) .

(١) سورة الروم الآية رقم (٢١) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٢٣ .

(٣) د/ محمد مصطفى شحاته الحسينى : الأحوال الشخصية في أحكام الزواج والطلاق والعدة والنفقة وحقوق الأولاد صفحة ٢٥، ٢٦ طبعة مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر . الطبعة الخامسة طبعة سنة

١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .

فإذا كانت هذه هي حكمة مشروعية الزواج . فما هي الفوائد التي تعود على الفرد وعلى الأسرة وعلى المجتمع الإنساني كله منه ؟ هذا ما تظهره السطور التالية :

فلونظرنا إلى الزواج لوجدنا أن في تشريعه لبنى البشر فوائد كثيرة تعود عليهم جميعا ، وهذه الفوائد ليست قاصرة على الفرد الواحد بعينه ولكنها تتعدى لتشمل الأسرة كلها ، وبعد شمولها للأسرة التي هي النواة الأولى في المجتمع تتعدى لتشمل المجتمع كله .

وإذا أردنا أن نعرف بعضا من هذه الفوائد الجليلة والمعاني السامية فلنبدأ أولا بالفوائد التي تعود على الفرد من الزواج .

الفوائد التي تعود على الفرد من الزواج هي:

١. الولد:

الولد هو المقصد الأول من الزواج حتى لا يخلو العالم من جنس الإنسان ، مع ملاحظة أن الحق سبحانه وتعالى في مقدوره أن يأتي بالولد بدون أب وأم ، أو بدون أب كما حدث مع آدم وعيسى عليهما السلام ، ولكن الله عز وجل يرتب الأسباب ليرينا قدرته سبحانه وتعالى في انجاب الولد الذي هو هبة ونعمة منه جل جلاله ، فلقد امتن سبحانه وتعالى علينا بهذه النعمة حيث قال : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

فالأولاد هبة وعطاء منه جل جلاله لذلك فإننا عندما نطالع آيات القرآن الكريم بالقراءة والتدبر نجد أنه جل جلاله عند حديثه عن الأولاد يستعمل لفظ الهبة في هذه النعمة فانظر إليه وهو يجيب نبيه زكريا عليه السلام بمنحه الولد بعد أن دعاه طالبا منه إياه ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٢﴾ ثم أمعن النظر في عظمة قوله تعالى حين يهب سليمان لأبيه داود عليهما السلام فيقول : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣﴾ ثم تأمل في قوله على لسان

(١) سورة الشورى الآيتان رقما (٤٩ ، ٥٠) .

(٢) سورة الأنبياء الآيتان رقما (٨٩ ، ٩٠) .

(٣) سورة ص الآية رقم (٣٠) .

خليله إبراهيم حين يدرك الخليل أن الأولاد منحة وهبة من الجليل فيقول حامدا مولاه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (١).

وتظهر فائدة الولد من عدة وجوه منها:

(أ) أنه إذا مات الولد كان شفيعا لأبيه يوم القيامة، فقد قال ﷺ في الحديث الشريف «من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار» (٢) من نار» وقال في المرأة التي لها ثلاثة من الولد «لقد احتظرت بحظار من النار» (٣) وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري «مامن مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم» (٤).

(ب) أن يبقى الولد الصالح يدعو لأبيه ولأمه بعد وفاتهما، أو وفاة أحدهما حيث قال ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (٥، ٦).

(١) سورة إبراهيم الآية رقم (٣٩).

(٢) الحظار: بالكسر جمع حظيرة وهي اسم لما حظر به من الغنم وغيرها من الشجر ليمنعها ويحفظها وقد حظرها حظرا من باب قتل واحتظرها عملها.

(٣) يراجع تحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة / السيد محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ج٥ / ٢٩٩ طبعة دار الفكر طبعة بدون تاريخ.

(٤) حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ / ١٥٢ / ٥٠٢ حديث رقم ٢١٢٥٥ وأخرجه كذلك في نفس الجزء صفحة رقم ٥١٨ حديث رقم ٢١٣٠٧، وأخرجه كذلك في نفس الجزء صفحة رقم ٥٣٢ حديث رقم ٢١٣٤٥.

(٥) حديث حسن صحيح: أخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب الأحكام باب الوقف ج٣ / ٦٥١ حديث رقم ١٣٧٦، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الوصايا باب ماجاء في الصدقة عن الميت ج٣ / ١٢٥٨ حديث رقم ٢٨٨٠، ويراجع في تخريجه أيضا كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر المحدث الشيخ / إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة ١١٦٢هـ ج١ / ١٠٥ حديث رقم ٢٧٧ أشرف على طبعة وتصحيحه والتعليق عليه أحمد الفلاس طبعة مكتبة التراث الإسلامي بدار التراث.

(٦) زاد بعضهم على ذلك أشياء وردت في أحاديث، ونظم الجميع الجلال السيوطي بقوله:

إذامات ابن آدم ليس يجرى * عليه من خصال غير عشر
علوم بشها ودعاء لجل * وغرس النخل والصدقات تجرى
ورائة مصحف ورباط ثغر * وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يـأوى * إليه أو بناء محل ذكر
وتعليق لقرآن كريم * فخذها من أحاديث بحصر

(ج) أن يكون الولد عوناً لأبيه عند الكبر، وذخراً له عند الممات فالولد إذا كان صالحاً مراعيًا لآداب الأبوة وحقوقها فإنه سيكون النور الذي يضيء الطريق لأبيه عندما يبلغ الكبر بأبيه مبلغاً، ويأخذ منه الدهر مأخذه، فيحسن إلى والديه ويوقرهما ويعطف عليهما عملاً بقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(١) وينفق عليهما من كسب حلال فيتكفل بطعامهما وكسوتهما وعلاجهما في حالة المرض وغير ذلك من وجوه الإنفاق، فلا يشعر والديه أو في إشعار أنه يبخل عليهما بما في يده، وهو في ذلك يجيب نداء رب السماء حين حثه على الإحسان إلى والديه فقال تعالى آمراً: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) وذلك لأن الوالدين قَدَمًا الإحسان في الصغر فوجب على الابن أن يرد إليهما الجميل عند الكبر قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾^(٣) هذا إذا كان الأب والأم مازالا على قيد الحياة، أما لو أنفذ القدر سهامه ورحل الأب والأم عن دنيا العباد إلى رحاب رب العباد فإن تواصل العطاء مازالت أبوابه مفتوحة فيصوم الابن عن والديه، بل ويحج عنهما، وقد جاء في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ما يدل على جواز ذلك ففي جواز الحج عنهما مارواه سعيد بن جبير^(٤) عن ابن عباس^(٥) رضي الله عنه أن امرأة من جهينة^(٦) جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال نعم حجى عنها رأيت لو كان على أملك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء^(٧).

(١) سورة لقمان جزء من الآية رقم (١٥). (٢) سورة الإسراء جزء من الآية رقم (٢٣).

(٣) سورة الرحمن آية رقم (٦٠).

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي أبو محمد مفسر فقيه محدث ثقة إمام حجة، من التابعين روى عن ابن عباس وغيره، وروى عنه ابنه عبد الله وعبد الملك وغيرهما، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٥ هـ وهو ابن ٤٩ سنة. تهذيب التهذيب للإمام / شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ج٤ / من ص ١١ - ١٣ طبعة / مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى طبعة سنة ١٣٢٥ هـ شذرات الذهب ج١ / ١٠٨ - ١١٠.

(٥) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ كان يقال له الخبير والبحر لكثرة علمه، دعا له النبي ﷺ بالحكمة مرتين وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس قبض النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل عشر سنوات، وقيل خمس عشرة سنة، مات ابن عباس سنة ٦٨ هـ وقيل ٦٩ هـ سنة وقيل ٧٠ هـ سنة. تهذيب التهذيب للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ج٥ / ٢٤٢ إلى ٢٤٥ طبعة / دار الفكر الطبعة الأولى طبعة سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(٦) ذكر صاحب فتح الباري أن البخاري لم يقف على اسم المرأة، ولا على اسم أبيها لكن روى ابن وهب عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه أن اسم هذه المرأة غائبة أو غائبة.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه مع شرحه فتح الباري كتاب الجزاء باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة ج٤ / ٨٠ حديث رقم ١٨٥٢.

وفي جواز الصوم عنهما «مارواه أيضا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها شهر فقال: رأيت لو كان عليها دين أكنت تقتضينه؟ قالت نعم قال: فدين الله أحق بالقضاء»^(١).

٢. التحصن ضد الشيطان:

فالزواج يعمل على حفظ فرج المتزوج، فلا ينظر إلى ما حرمه الله عليه، لأن الزواج يؤدي إلى اشباع الغريزة الجنسية بطريق منظم عند كل من الرجل والمرأة على وجه مشروع وهو بذلك يحمى الشخص من الوقوع في براثن الرذيلة ويصون كيانه من أن يذل أو ينخرط في أشياء تؤدي إلى التهلكة أو الضياع، فإذا خطر على باله امرأة غير زوجته أو رأى من امرأة ما أعجبه فإذا ذهب إلى بيته وآوى إلى فراشه فإنه يجد هناك زوجة أحلها الله له يقضى وطره معها ومن هنا فإن النبي ﷺ قد أشار إلى ذلك حين قال «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان»^(٢) فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد مافي نفسه»^(٣) فالزواج طريق إلى العفة وصيانة النفس عن الفاحشة، ولذلك أرشد المولى عز وجل العاجزين عن الزواج أن يعفوا أنفسهم فإن هم فعلوا ذلك أغناهم الله من فضله قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه شرح النووى كتاب الصيام باب قضاء الصوم عن الميت ج٨ / ٢٠٩ رقم ١١٤٨.

(٢) قال العلماء معناه: الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والإلتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر الوسوسة وتزيينه لهن، ويستنبط من هذا: أنه ينبغي لها أن لاتخرج بين الرجال إلا لضرورة وأنه ينبغي للرجل أن يغض بصره ونظره عن ثيابها، وأن يعرض عنها مطلقا.

(٣) حديث حسن صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه شرح النووى كتاب النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن يأتى امرأته أو جاريتها فيواقعها ج٩ / ٥٠٥ حديث رقم ١٤٠٣، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر ج٢ / ٩٢٢ - ٩٢٢ حديث رقم ٢١٥١ وأخرجه الترمذى في سننه كتاب الرضاع باب ماجاء في الرجل يرى امرأة تعجبه ج٣ / ٤٥٥ حديث رقم ١١٥٨، وأخرجه إمام المحدثين الحافظ الجليل أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى في السنن الكبرى عن جابر بن عبد الله بلفظ: أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب بنت جحش فقضى حاجته منها، ثم خرج على أصحابه فقال لهم: إن المرأة تقبل في صورة شيطان فمن وجد ذلك فليأت أهله فإن يضم مافي نفسه كتاب النكاح باب ما يفعل إذا رأى من أجنيه ما يعجبه ج٧ / ٩٠ طبعة دار الفكر بيروت.

نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(١) وفي هذا يقول الإمام الكاساني^(٢) رحمه الله حين رجح الإشتغال بالنكاح على الإشتغال بالنوافل فقال: «إنه سبب يتوصل به إلى مقصود هو مفضل على النوافل، لأنه سبب الصيانة النفس عن الفاحش، وسبب الصيانة نفسها عن الهلاك بالنفقة والسكنى واللباس لعجزها عن الكسب، وسبب لحصول الولد الموحّد، وكل واحد من هذه المقاصد مفضل على النوافل، فكذا السبب الموصل إليه كالجهاد والقضاء»^(٣).

٣. السكن والمودة:

ففى الزواج السكن النفسى والراحة والطمأنينة، وهذا ما أشار إليه المولى جل ثناؤه حين قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٤) وذلك لأن الزوجة حين تطمئن إلى أن زوجها يكفها ويكفل لها رزقها ورزق أولادها فإنها تجتهد بل تتفنن في إرضاء زوجها لتجعل بيتها محاطا بسياج منيع من السكن والمودة والرحمة والحنان عندئذ يهتئان معا بالحياة ويسعدان بالعيش فيها، وهذا ما أراد الله تحقيقه من تشريع الزواج.

٤. المحافظة على صحة المتزوج وعافيته:

تؤكد الأبحاث التى تجرى يوما بعد يوم في كل أنحاء العالم أن الزواج له دور مباشر في حماية عافية المتزوجين، فالذين يتزوجون يحيون حياة أفضل وأعمر من الذين لا يتزوجون إذ دلت الإحصائيات التى أجريت في أكثر دول العالم تقديما أن معدل الوفاة بين المتزوجين أقل من معدل الوفاة بين غير المتزوجين في مختلف الأعمار، ولم تأت هذه الإحصائيات ولاتلك الأبحاث بجديد يعرفه الناس لأول مرة، فهذا هو ما أظهره أحد

(١) سورة النور صدر الآية رقم (٣٣).

(٢) هو أبو بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين، منسوب إلى كاسان بلدة بالتركستان خلف نهر سيحون، من أهل حلب من أئمة الحنفية، كان يسمى ملك العلماء، أخذ عن علاء الدين السمرقندى وشرح كتابه المشهور تحفة الفقهاء، تولى بعض الأعمال لنور الدين الشهيد، توفى بحلب من تصانيفه البدائع والسلطان المبين في أصول الدين توفى سنة ٥٨٧هـ. الأعلام ج٢/ ٤٦.

(٣) يراجع بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى الملقب بملك العلماء المتوفى سنة ٥٨٧هـ ج٢/ ٣٤٣ - ٣٤٤ طبعة دار الفكر تحت إشراف مكتب البحوث والدراسات. الطبعة الأولى ط سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤) سورة الروم جزء من الآية رقم (٢١).

الفقهاء القدامى حين أكد أن للزواج أهمية بالغة في حماية النسل وحفظ عافية المتزوجين حيث قال: «ومقاصد النكاح ثلاثة: حفظ النسل، وإخراج الماء الذي يضر حبسه، ونيل اللذة وهذه الثالثة هي التي في الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتباس»^(١).

الفوائد التي تعود على الأسرة من الزواج:

تتمثل هذه الفوائد فيما يلي:

١ - توسيع دائرة القرابة وتقوية أواصر المحبة بين الأسر، وتوكيد الصلات الاجتماعية بين عائلات المجتمع، إذ أن الزواج بمفهومه العام يتم بين أسرتين تشبث المصاهرة بينهما أحكاما شرعية جديدة من شأنها أن تقوى الروابط وتدعم الصلات.

٢ - يعمل الزواج على إيجاد النفس السوية المستقيمة من خلال ما يترتب عليه من آثار فالزوج توجد على عاتقه واجبات لا بد من وفائه بها، كذلك في المقابل الزوجة يلزمها الزواج بالتزامات لا بد عليها من القيام بها فهو السبيل لاكتمال خصائص الرجولة والأنوثة عند الرجال والنساء، فكثير من الخصائص تكتمل وتتحقق في ظلال الحياة الزوجية ومنها العواطف النبيلة التي يشعر بها كل واحد من الطرفين تجاه الآخر، ومنها مشاعر الأبوة والأمومة، ومشاعر العطف والحنان، وهي فضائل كريمة تروج بها الحياة الأسرية في المجتمعات الإنسانية.

٣ - مما لا شك فيه أن الزواج يعمل على حث النفس على العمل والكفاح وتكثير الإنتاج، إذ أن تبعة الزواج تبعث على النشاط وبذل الوسع والجهد وصولا إلى كفايته وكفاية أسرته. الأمر الذي يصل بالجميع إلى الحياة المطمئنة والانتفاع بخيرات الله التي أوجدها لعباده في الأرض.

٤ - يقوى الزواج غرائز الأبوة والأمومة من خلال معايشة الأبوة الحقيقية في ظل وجود الأبناء، وهذا من شأنه أن يعمل على إيجاد النسل الصالح، والنشء المهذب، وهنا تتحقق مباحاة النبي ﷺ التي طلب من الأمة أن تقدم على الزواج من أجل تحقيقها فيقول: «تزوجوا الولود^(٢) الودود^(٣) فإنني مكاثركم بالأمم يوم القيامة»^(٤).

(١) يراجع معنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ج٤ / ٢٠١.

(٢) الولود: التي تكثر ولادتها.

(٣) الودود: التي تحب زوجها.

(٤) حديث صحيح: أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء

ج٢ / ٨٧٥ حديث رقم ٢٠٥٠.

وأما المصالح التي تعود على المجتمع الإنساني كله من الزواج:

فهى واضحة وتبلور في محافظته على النوع البشرى سليما من الإنقراض ، فبدونه ينقرض النوع الإنساني وتفنى الحياة، لأن الله خلق الإنسان وفطره على ضرورة اجتماع الذكور والإناث حتى يتم التكاثر والتناسل وتتم عمارة الأرض التي قال الله عنها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق زواج شرعى تقبله الدنيا وترتضيه سبيلا إلى تجدد البشرية مراعيًا كرامة الإنسان ومبرزا أساس تفضيله على جميع الخلق.

(١) سورة فاطر صدر الآية رقم ٣٩.



المبحث الثالث

حكم الزواج

المبحث الثالث

حكم^(١) الزواج

الزواج تعتريه خمسة أحكام فتارة يكون فرضا، وتارة يكون مندوبا، وتارة يكون مكروها، وتارة يكون حراما، وتارة يكون مباحا، وفيما يلي سأقوم ببيان كل حكم من هذه الأحكام.

١. فيكون الزواج فرضا^(٢)؛

في حالة التوقان الشديد إليه بحيث لا يمكن للشخص الصبر على النساء مع توافر

(١) الحكم لغة: المنع والقضاء. يقال حكمت عليه بكذا أى منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج عنه، وحكمت بين القوم أى فصلت بينهم فأنا حاكم، وحكم بفتححتين والجمع حكام، ومنه حكمة اللجام وهو ما أحاط بحنكى الدابة، وسميت بذلك لأنها تدللها لراكبها حتى تمنعها من الجراح ونحوه، ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرزال. المصباح المنير ص ٩٠.

(٢) يطلق الفرض في اللغة على معان منها: ١ - القطع والتقدير: ومنه قول الله تعالى ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ سورة النور صدر الآية رقم ١ أى قدرناها وقطعنا الأحكام قطعاً. ٢ - الإنزال ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ سورة القصص جزء من الآية رقم ٨٥ أى أنزل عليك القرآن. ٣ - الحل: ومنه قوله جل شأنه: ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له﴾ سورة الأحزاب جزء من الآية ٣٨ أى أحل الله له. ولا فرق بين الفرض والواجب عند جمهور الفقهاء بل هما من الألفاظ المترادفة أما أصحاب أبى حنيفة: فقد اصطالحوا على تخصيص اسم الفرض بما يقطع وجوبه وتخصيص اسم الواجب بما لا يدرك إلا ظنا، وأوضح الحنفية الأمر فقالوا: إن التكليف إن ثبت بدليل قطعى مثل الكتاب والسنة المتواترة فهو الفرض كالصلوات الخمس، وإن ثبت بدليل ظنى كخبر الواحد والقياس فهو الواجب ومثلوا له بالوتر والواجب في اللغة: يطلق بمعنى السقوط ومنه يقال: وجبت الشمس إذا سقطت، ووجب الحائط إذا سقط وقد يطلق بمعنى الثبوت والاستقرار ومنه قوله ﷺ «إذا وجب المريض فلاتبكين باكية» أى استقر وزال عنه التزلزل والاضطراب، وحكم الفرض اللزوم علما وتصديقا بالقلب وهو الاسلام وعملا بالبدن وهو من أركان الشريعة ويكفر جاحده ويفسق تاركة بلاعذر، وأما حكم الواجب: فلزومه عملا بمنزلة الفرض لا علما على اليقين لما في دليله من الشبهة حتى لا يكفر جاحده ويفسق تاركة إذا استخف بأخبار الآحاد فأما متأولا فلا. يراجع المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي المولود سنة ٤٥٠ هـ والمتوفى سنة ٥٠٥ هـ ج١ / ١٢٨ تحقيق د/ محمد سليمان الأشقر طبعة مؤسسة الرسالة طبعة أولى سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البيزدوى للإمام علاء الدين عبد العزيز أحمد البخارى المتوفى سنة ٧٣٠ هـ / ٢ / ٣٠٠ طبعة دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة، الإحكام في أصول الأحكام للإمام سيف الدين أبى الحسن على بن أبى على بن محمد ج١ / ١٤٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضى / ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ تأليف الشيخ الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٢ هـ ج١ / ٤٧ ت د / شعبان محمد اسماعيل ط دار ابن حزم ط أولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

القدرة المالية والجسدية^(١)، ويخشى على نفسه من الوقوع في المحذور لو لم يتزوج، فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الحرام^(٢)، لأن الحفاظ على النفس وصيانتها من الوقوع في الحرام واجب على كل مسلم قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣) وبذلك يمكن للشخص التحرز عن الوقوع في الزنا لأن ترك الزنا واجب، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به يكون واجبا^(٤).

٢. ويكون مندوبا^(٥)؛

في حالة اعتدال الشهوة عند الشخص بمعنى أنه لا يخشى على نفسه الوقوع في المحذور لو لم يتزوج مع قدرته المالية والبدنية على الزواج، وذلك لما في الزواج في هذه

(١) يراجع بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج٢/ ٣٤٢، شرح فتح القدير ج٣/ ١٨٧، المبسوط ج٤/ ١٩٣، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للعلامة / فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ج٢/ ٩٥ طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان طبعة بدون تاريخ.

(٢) يراجع حاشية الدسوقي للعلامة شمس الدين الشيخ / محمد عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدى أحمد الدردير ج٢/ ٣٤٠ طبعة دار الفكر الطبعة الأولى طبعة سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ج٤/ ٢٠٣، المغنى مع الشرح الكبير ج٩/ ١٣٦.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية رقم (١٩٥).

(٤) يراجع تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ج٢/ ٩٥، المبسوط ج٤/ ١٩٣، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٢/ ٣٤٠، شرح منح الجليل ج٢/ ٢، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ج٤/ ٢٠٣، المغنى مع الشرح الكبير ج٩/ ١٣٦.

(٥) المندوب: مأخوذ من الندب وهو الدعاء إلى أمر مهم ومنه قول الشاعر:

لايسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ماقال برهانا

وفي اللغة: تقول العرب: ندبه إلى الأمر ندبا أى دعاه إليه، وانتدبه للأمر فانتدب، وندبت المرأة ندبا من باب قتل فهي نادبة والجمع نوادب. المصباح المنير ص ٣٥٤ مادة ندب والمندوب اصطلاحا: ما يمدح فاعله ولا يذم تاركه ويسمى نافلة وسنة وتطوعا ومستحبا.

يراجع ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام / محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ ص ٦ طبعة مصطفى البابي الحلبي طبعة أولى بدون تاريخ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ للإمام شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وولده تاج الدين عبد الوهاب بن عبد السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ج١/ ٤٣ طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان طبعة أولى طبعة سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م. المستصفي من علم الأصول للغزالي ج١/ ١٣٠ نهاية السؤل ج١/ ٥٠.

الحالة من بقاء النسل وحفظ النسب، وللإستعانة به على المصالح^(١)، ولخبر الصحيحين «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»^(٢)، «ولما رواه الإمام أحمد^(٣) وابن أبي شيبة^(٤) وابن عبد البر^(٥) عن عكاف بن وداعة أنه أتى النبي ﷺ فقال: ألك زوجة يا عكاف؟ قال: لا ولا جارية وأنت حر موسر بخير؟ قال وأنا موسر بخير قال: أنت إذن من إخوان الشياطين»^(٦) إلخ الحديث.

٣. ويكون الزواج مكروها^(٧):

إذا كان الشخص في حال اعتدال المزاج، أى كانت الحالة والرغبة الجنسية عنده في

(١) يراجع تبين الحقائق ج٢ / ٩٥، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٢ / ٣٤٠، شرح منح الجليل ج٢ / ٢، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ج٤ / ٢٠٣، الحاوى الكبير ج٢ / ٣٤٠، المغنى مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣.

(٣) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأعلام ببغداد نشأ ومات بها، كان أبوه جنديا فمات وهو شاب، فتوجه أحمد إلى طلب العلم سنة ١٧٩هـ فرحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، كان رحمه الله إماما في الحديث وضروبه إماما في الفقه ودقائقه، إماما في السنة ودقائقها، إماما في الورع وغوامضة، إماما في الزهد وحقائقه، كما كان حافظا متقنا ذكر أنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكانت وفاته في يوم الثاني عشر من ربيع الأول بكرة الجمعة في سنة ٢٤١هـ، وحضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا، وأسلم يوم وفاته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس، وحرزت كتبه يوم موته فبلغت اثني عشر حملا كل ذلك عن ظهر قلب، وكان عمره يوم وفاته سبعا وسبعين سنة وأياما. شذرات الذهب ج٢ / ١٩٦ إلى ١٩٨.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم الكرخي أبو بكر حافظ للحديث له فيه كتب منها المسند والمصنف في الأحاديث والآثار ولد سنة ١٥٩هـ وتوفي سنة ٢٣٥هـ.

(٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر النمرى القرطبي المالكي من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاثه، يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، وولى قضاء لشبونة وشنترين وتوفي سنة ٤٦٣، ومن كتبه الإستيعاب والإستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، والتمهيد لمافي الموطأ من المعانى والأسانيد. الأعلام ج٨ / ٢٤٠.

(٦) يراجع الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني كتاب النكاح باب الحث عليه وكراهة تركة للقداد ج١٦ / ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ طبعة دار الشهاب القاهرة، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي كتاب النكاح باب الحث على النكاح وما جاء في ذلك ج٤ صفحة ٤٥٩ حديث رقم ٧٢٩٧.

(٧) المكروه في اللغة: مأخوذ من الكريهة وهي الشدة في الحرب، ومنه قولهم جمل كره أى شديد الرأس. يقال كره بضم الراء كراهة فهو كرهه مثل قَبِحَ قباحة فهو قبيح وزنا ومعنى «والكره» بالفتح المشقة وبالضم القهر، وقيل بالفتح الإكراه وبالضم المشقة وأكرهته على الأمر إكراها حملته عليه قهرا. المصباح المنير ص ٣١٦ مادة كره. واصطلاحا: هو ما يمدح تاركه ولا يذم فاعله يراجع الإبهاج ج١ / ٥٩ نهاية السؤل ج١ / ٥١، الإحكام في أصول الأحكام ج١ / ١٧٤.

حالة الاعتدال ويجد المال اللازم لنفقات الزواج، ولا يخشى على نفسه من الوقوع في معصية الزنا، لكنه يخشى على نفسه من الوقوع في معصية الظلم لو تزوج، كأن يظلم زوجته ماديا أو معنويا، فماديا كأن يكون كسبه لايفى باحتياجاته، ومعنويا كأن يكون لديه فتور وخمول في الرغبة الجسدية وفي الناحية الجنسية.

٤. ويكون حراما^(١)؛

إذا كان الشخص يتأكد يقينا أنه سيظلم زوجته ماديا أو معنويا، ماديا كأن يكون فقيرا معدما لاقدرة له على الكسب، ولايستطيع الإنفاق على زوجته من مآكل وملبس ومسكن وغير ذلك من الأمور الأخرى، ومعنويا كأن يكون الزوج كبيرا مسنا بلغ به الكبر مبلغة وأوشك أن يكون في عالم الذكريات، أو كان مريضا مرضا يمنعه من إتيان النساء، أو كان عينيا بحيث لايستطيع الجماع مما يترتب عليه عدم اعفاف زوجته من الناحية الجنسية، ومعلوم أن المرأة لها طاقة كامنة لا بد من اشباعها واستنفادها فإذا لم تستنفذ هذه الطاقة الكامنة بين ذراعى زوجها فإنها ربما تقع في حافة الهاوية، فتقضى هذه الطاقة الكامنة في برائن رجل متحلل لايرقب في الله إلا ولا ذمة. فلذلك كان الزواج في هذه الحالة حراما لأنه يؤدي إلى الوقوع في المحذور وما أدى إلى الوقوع في المحذور فهو حرام.

ويكون الزواج مباحا^(٢)؛

في غير هذه الحالات سألفة الذكر، فيباح للشخص أن يتزوج دون إيجابه عليه، ويباح له ترك الزواج دون المؤاخذة على الترك.

(١) حرم الشيء بالضم أى امتنع عن فعله، يقال حُرِّمَ حُرْمًا وحُرْمًا مثل عسر عسرا والحرمة بالضم: مالا يحل انتهاكه والجمع حرمان، والحرمة أيضا المرأة والجمع حُرْمٌ مثل غرفة وغرف، وحرمة مكة والمدينة معروف، والنسبة إليه حرمى بكسر الحاء وسكون الراء. المصباح المنير ص ٨٢ مادة حرم. واصطلاحا: ما يذم شرعا فاعله. يراجع الإبهاج ج١ / ٥٨، نهاية السؤل ج١ / ٥١.

(٢) المباح لغة: مشتق من الإباحة وهى الإظهار والإعلان يقال باح بسره إذا أظهره، وقد يرد أيضا بمعنى الإطلاق والإذن ومنه يقال: أبحته بكذا أى أطلقته فيه وأذنت له. واصطلاحا: هو مالا يمدح على فعله ولا على تركه، أو مالا يتعلق بفعله ولا بتركه مدح ولا ذم يراجع الأحكام فى أصول الأحكام ج١ / ١٧٥، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٦، المستصفى للغزالي ج١ / ١٢٩، الموافقات فى أصول الشريعة لأبى اسحاق الشاطبى إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطى المالكي المتوفى سنة ٥٧٩هـ ج١ / ١٠٩ طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان الطبعة الثانية طبعة سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

وبعد ذكر الحالات السابقة في الحكم على الزواج بفرضيته أو كونه مباحا أو مندوبا أو حراما إلى غير ذلك . يتبين لى أن الرأى الراجح أو الحالة الراجحة هى كون الزواج مندوبا إليه في حال الاعتدال لأن هذا هو ماذهب إليه جمهور الفقهاء ، وذلك لأن حالة الاعتدال هى الحالة الغالبة عند كثير من الناس ، وقد خالف الجمهور في ذلك الظاهرية حيث ذهبوا إلى أن الزواج في حالة الاعتدال يكون واجبا ، وذهب الشافعى مع الجمهور في القول بكونه مندوب إليه إلا أنه قال : إن التخلى للعبادة في حال الاعتدال أفضل من الإقدام على الزواج ، وقد استدل كل فريق بأدلة تؤيده فيماذهب إليه .

فقد استدل جمهور الفقهاء على أن النكاح مندوب إليه بالدليل من الكتاب والسنة والمعقول : الكتاب : استدلوا من الكتاب بأيتين :

الآية الأولى: قوله تعالى : ﴿ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (١) .

وجه الدلالة: علق الحق سبحانه وتعالى النكاح بطيب نفس من الرجل ولو كان واجبا للزم بكل حال (٢) ، وأنه جل شأنه خير الزوج بين النكاح وملك اليمين ، والتخير يقتضى تساوى حكمهما ، وقد دل الدليل على أن ملك اليمين ليس بواجب فكذلك النكاح يكون ليس بواجب .

الآية الثانية: قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٣) .

وجه الدلالة: أباح سبحانه نكاح الأمة لمن خاف من الوقوع في معصية الزنا ثم جعل الصبر خيرا له ، فلو كان النكاح واجبا لكان الصبر شراله (٤) .

السنة:

(أ) قوله ﷺ : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » (٥) .

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم (٣) .

(٢) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٨ ، التكملة الثانية للمجموع ج١٧ / ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء جزء من الآية رقم (٢٥) .

(٤) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٩ .

(٥) الحديث سبق تخريجه ص ٢٣ .

وجه الدلالة: أقام النبي ﷺ الصوم مكان النكاح، والصوم ليس بواجب فدل ذلك على أن النكاح ليس بواجب أيضا، لأن غير الواجب لا يقوم مقام الواجب، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم منهم من لم تكن له زوجة وعلم النبي بذلك ولم ينكر عليه فدل على أنه ليس بواجب^(١).

(ب) ماروى عنه ﷺ أنه قال: «مسكين مسكين رجل لا امرأة له، ومسكينة مسكينة امرأة لا رجل لها»^(٢).

وجه الدلالة: خرج النكاح بذلك مخرج الرحمة، وتارك الواجب لا يرحم، ولأنه لما لم يجب مقصود النكاح وهو الوطاء كان النكاح بالألا يجب أولى^(٣).

من المعقول: وأما الاستدلال من المعقول فمن الوجوه الآتية:

١ - النكاح ليس فيه أكثر من نيل شهوة وإدراك لذة وليس ذلك بواجب كسائر الشهوات.

٢ - ولأنه لو وجب عليه قطع شهوته بالنكاح، لوجب قطعها عند العجز بمقام مقامه من دواء وعلاج.

٣ - ولأن مادعت إليه الشهوة خارج من جملة الواجبات لأن من صفات الواجبات تكليف الإنسان حملها وتحمل الأثقال لها^(٤).

أدلة الظاهرية على وجوب النكاح:

وقد استدلت الظاهرية على فرضية النكاح بالكتاب والسنة والأثر.

الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٥).

وجه الدلالة: أمر الله عز وجل بالنكاح مطلقا، والأمر المطلق للفرضية والوجوب قطعاً إلا أن يقوم الدليل بخلافه.

(١) يراجع بدائع الصنائع ج٢ / ٣٤٣.

(٢) أخرجه الحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحريه الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ج٤ / ٤٦٤ وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات طبعة / مؤسسة المعارف بيروت لبنان طبعة سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) يراجع الحاوي الكبير ج١١ / ٤٩.

(٤) يراجع نفس المرجع السابق في نفس الموضع المشار إليه سابقا.

(٥) سورة النساء جزء من الآية رقم (٣).

السنة:

١ - قوله ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»^(١).

وجه الدلالة: في الحديث أمر من النبي ﷺ للشباب بالزواج والأمر للوجوب.

٢ - ماروى عن سعد بن أبي وقاص^(٢) أنه قال: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون^(٣) التبتل، ولو أذن لنا لاختصينا»^(٤، ٥).

الأثر^(٦):

(أ) قول عمر^(٧) لأبي الزوائد^(٨) «ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور»^(٩).

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٢٣.

(٢) هو سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن كلاب القرشى الزهرى بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتا، روى عن النبي ﷺ كثيرا وكان أحد الفرسان، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، ولى الكوفة لعمر وعثمان، وكان مجاب الدعوة، مات بالعقيق سنة ٥٥هـ على الأشهر. الاصابة في تمييز الصحابة ج٣ / ٨٣ - ٨٤.

(٣) هو عثمان بن مظعون القرشى الجمحى، أول من مات من المهاجرين بالمدينة بعد رجوعه من بدر، وقبله النبي ﷺ وهو ميت، وكان يزوره ودفن إلى جنبه ابنه إبراهيم، وكان ممن حرم الخمر على نفسه قبل أن تحرم وكان عابدا مجتهدا. شذرات الذهب ج١ / ٩ - ١٠.

(٤) يراجع المحلى بالآثار ج٩ / ٤.

(٥) حديث حسن صحيح أخرجه الترمذى في سننه كتاب النكاح باب ماجاء في النهى عن التبتل ج٣ / ٣٨٥ حديث رقم ١٠٨٣.

(٦) الأثر: مابقى من رسم الشيء، والأثر الخبر وجمعه آثار، ويقال فلان من حملة الآثار، وقد فرق أئمة الحديث بين الخبر والأثر فقالوا: الخبر ما كان من النبي ﷺ والأثر: ما يروى عن الصحابة والأثر: نقل الحديث عن القوم وروايته. يراجع تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى ج٣ / ٤ - ٥ طبعة المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر طبعة أولى ط سنة ١٣٠٦هـ نشر مكتبة الحياة بيروت لبنان.

(٧) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى أبو حفص، ثانى الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمر المؤمنين الصحابى الجليل الشجاع الحازم الفقيه صاحب الفتوحات يضرب بعدله المثل، وهو أحد العمرين الذى كان النبي ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما، شهد الفتوحات والوقائع، وهو أول من دون الدواوين ومناقبة كثيرة وفضائله مشهورة. الأعلام ج٤ / ١٦٥ - طبقات الفقهاء ص ١٩ - ٢١.

(٨) هو ذو الزوائد الجهنى له صحبة، عداه في المدنيين وهو أول من صلى الضحى، وهو الذى وقف يبلغ أمر رسول الله ﷺ ونهيه في حجة الوداع. أسد الغابة ج٢ / ٢٢.

(٩) يراجع المصنف للحافظ الكبير أبى بكر عبد الرازق بن همام الصنعانى ومعه كتاب الجامع للإمام

معمر بن راشد الأزدى رواية الإمام عبد الرازق الصنعانى ج٦ / ١٧٠ رقم ١٠٣٨٤ تحقيق / عبد الرحمن الأعظمى طبعة المكتب الإسلامى بيروت لبنان طبعة ثانية سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، يراجع المصنف للحافظ عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الكوفى العيسى المتوفى سنة ٢٣٥هـ كتاب النكاح باب في التزويج من كان يأمر به ويحث عليه ج٣ / ٢٧١ طبعة دار الفكر طبعة سنة ١٤١٤هـ -

١٩٩٤م.

(ب) قول معاذ^(١) في مرضه: «زوجوني حتى لألقى الله عزبا»^(٢).

وجه الدلالة: ووجه الدلالة من الأثرين واضحة.

(ج) ماروي عن الحسن البصري^(٣) أن أم المؤمنين عائشة^(٤) رضی الله عنها سئلت عن التبتل فقالت: لا تفعل أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾^(٥) فلا تبتل»^(٦).

وجه الدلالة منه: أن أم المؤمنين عائشة رضی الله تعالى عنها نهت السائل عن التبتل وهو الانقطاع للعبادة فدل ذلك على تحريم التبتل لأنه لا يمكن لأم المؤمنين عائشة أن تقول بذلك إلا إذا كانت سمعته من رسول الله ﷺ وإذا كان التبتل منهيًا عنه فيكون محرماً، ويكون الزواج مأموراً به.

واستدل الشافعي^(٧) على أن الشخص إذا كان مصروفاً عن الشهوة غير تائق إلى

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس عبد الرحمن الخزرجي، صحابي جليل سلطان العلماء وأعلم الأمة بالحلال والحرام، من فضلاء الصحابة وفقهائهم، ورد أن العلماء تأتي تحت رايته يوم القيامة، قال له النبي ﷺ إني أحبك يامعاذ، مات سنة ١٨ هـ عن ٣٦ عام. شذرات الذهب ج١ / ٢٩ - ٣٠، طبقات الفقهاء لأبي اسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ص ٢٦ - ٢٧ طبعة دار القلم بيروت لبنان.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف عن معاذ في كتاب النكاح باب في التزويج من كان يأمر به ويحث عليه ج٣ / ٢٧١، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف أيضاً عن شداد بن أوس في كتاب النكاح باب في التزويج من كان يأمر به ويحث عليه ج٣ / ٢٧٠.

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، كان عالماً رفيعاً فقهياً حجة ومأموناً عادلاً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً، وكان جل كلامه حكم ومواعظ، مات سنة ١١٠ هـ شذرات الذهب ج١ - ١٣٦ - ١٣٨ طبقات الفقهاء ص ٩١.

(٤) هي أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت أبي بكر، من أخص مناقبها ما علم من حب رسول الله لها، ونزول الوحي ببرائها والتنويه بقدرها، ونزول الوحي في بيتها وهو ﷺ في لحافها، ولم يتزوج بكراً سواها، وما حمل عنها من الفقه لم يحمل عن أحد سواها تزوجها النبي ﷺ في مكة وهي ابنة ست، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع وتوفى النبي وهي بنت ثمانين عشرة، وكانت من أكثر الصحابة حفظاً، ونقل عنها علم كثير حتى ورد «خذوا نصف دينكم عن الحميراء» وفي رواية «ثلثي دينكم» توفيت سنة ٥٧ هـ عن ٦٥ عام شذرات الذهب ج١ / ٦١ - ٦٢.

(٥) سورة الرعد جزء من الآية رقم (٣٨).

(٦) يراجع المحلى بالآثار للإمام الجليل المحدث الفقيه الأصولي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ج٩ / ٤ تحقيق د / عبد الغفار سليمان البنداري طبعة دار الفكر والمكتبة التجارية.

(٧) هو محمد بن إدريس الشافعي المطلبى أبو عبد الله ولد سنة ١٥٠ هـ بغزة ونشأ بمكة، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، وأفتى وسنة خمس عشرة سنة، وقدم بغداد سنة ١٩٥ هـ فاجتمع عليه علماءها وصنف بها كتابه القديم، ثم خرج إلى مصر وصنف بها كتبه الجديدة كالأمم والآمال أثنى عليه أئمة عصره بما يطول ذكره مات بمصر سنة ٢٠٤ هـ عن ٥٤ سنة. شذرات الذهب ج٢ / ٩ - ١٢.

النكاح فالأفضل له ترك النكاح، والإشتغال بالعبادة- بالكتاب والمعقول.

الكتاب:

١- قول الله تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾^(١) وهذا خرج مخرج المدح ليحيى عليه السلام بكونه حصورا، وفي بيان معنى الحصور قولان:

(أ) الحصور: هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على الإتيان وهذا قول قتادة^(٢).

(ب) الحصور: هو الذي لا يقدر على اتيان النساء وهذا قول سعيد بن المسيب^(٣).

فلو كان النكاح أفضل من الإنشغال بالعبادة لمادح الله عز وجل يحيى بتركه.

٢- قوله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾^(٤).

وجه الدلالة: وردت الآية في معرض الذم لمن أحبوا الدنيا وشهواتها من النساء والبنين، وهذا يدل على كون التخلي للعبادة أفضل من الإشتغال بالنكاح^(٥).

٣- قوله جل شأنه: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾^(٦).

وجه الدلالة: ذكر الحق سبحانه القواعد من النساء فلم ينههن عن القعود، ولم يندبهن إلى النكاح، والقواعد: هن اللاتي قعدن بالكبر عن الحيض والحمل فلا يردن الرجال ولا يريدن الرجال^(٧).

المعقول: النكاح من جنس المعاملات بدليل أنه يصح من المسلم والكافر، والمقصود به قضاء الشهوة، وذلك مما يميل إليه الطبع فيكون من يباشره عامل لنفسه، وفي اشتغاله بالعبادة يكون عاملا لله تعالى لكونه يخالف هوى نفسه، وفي الإشتغال بما خلقه الله

(١) سورة آل عمران جزء من الآية رقم (٣٩).

(٢) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة الدوسي عالم أهل البصرة ومفسر الكتاب، آية في الحفظ إمام في النسب رأس في اللغة العربية وأيام العرب، روى عنه أنه قال: «ما قلت لحدث قط أعد على وما سمعت شيئا إلا ووعاه قلبي، وما في القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئا توفي سنة ١١٧ هـ. شذرات الذهب ج١/ ١٥٣ - ١٥٤، طبقات الفقهاء ٩٤.

(٣) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٣/ ١٧٥ ط دار الريان للتراث.

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية رقم (١٤).

(٥) يراجع المغنى مع الشرح الكبير ج٩/ ١٣٨.

(٦) سورة النور جزء من الآية رقم (٦٠).

(٧) يراجع الحاوي الكبير ج١١/ ٥١.

تعالى لأجله وهى العبادة أفضل من الإشتغال بغيره^(١) قال تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ
والإنس إلا ليعبدون﴾^(٢).

مناقشة الأدلة:

لم تسلّم أدلة الظاهرية من مناقشة جمهور الفقهاء لها، وكذلك لم تخل الأدلة التى
اعتمد عليها الشافعى فيما ذهب إليه من توجيه الاعتراضات والمناقشات لها من قبل
جمهور الفقهاء.

أولاً: مناقشة أدلة الظاهرية القائلين بكون النكاح واجباً:

١ - الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٣) ليس المراد بالأمر
هنا الوجوب ولكن المراد به الندب، وذلك ما أجمع عليه عامة الفقهاء بدليل أنه علقه
بطيب النفس ولو كان واجباً للزم بكل حال^(٤).

٢ - الاستدلال بقوله ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»^(٥)
الأمر هنا للندب وليس للوجوب، أو أن الأمر خاص بمن يخشى على نفسه الوقوع في
المحذور بترك النكاح^(٦).

٣ - ما استدللتم به من الأثر: يجاب عنه بأن عمر قال هذا القول على طريق
الترغيب دون الوجوب ولو كان واجباً لألزمه^(٧)، وأما قول معاذ: فيرد عليه بأن معاذ
كان ذا أولاد وقد اختار ذلك لتقوم الزوجة على رعاية الأولاد والقيام بشئونهم^(٨)
كما فعل جابر بن عبد الله حين تزوج.

٤ - أنه ﷺ ذكر أركان الدين من الفرائض وبين الواجبات ولم يذكر من جملتها
النكاح، وقد كان في الصحابة رضوان الله عليهم من لم يتزوج ولم ينكر عليه رسول الله

(١) يراجع المبسوط ج٤ / ١٩٤ .

(٢) سورة الذاريات الآية رقم (٥٦) .

(٣) سورة النساء جزء من الآية رقم (٣) .

(٤) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٨ - المغنى مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٥ .

(٥) الحديث سبق تخريجه ص ٢٣ .

(٦) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٩ - المغنى مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٦ .

(٧) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٥٠ .

(٨) يراجع نفس المرجع السابق في نفس الموضع المشار إليه .

ذلك ، والصحابة فتحوا البلاد ونقلوا ما جَلَّ ودَقَّ من الفرائض ولم يذكروا من جملتها النكاح وأنه كما يتوصل بالنكاح إلى التحرز عن الزنا يتوصل بالصوم إليه كما دل الحديث على ذلك^(١) .

ثانياً: ويرد على الشافعي في كون التخلي للعبادة أفضل من النكاح بما يأتي:

١ - ما ذهبتم إليه واستندتم عليه بما جاء في حق يحيى عليه السلام فيمكن الجواب عنه بأن الأفضل في شريعة يحيى العزلة ، وأن الأفضل في شريعتنا العشرة ، وذلك لوجود الرهبانية في شريعته^(٢) .

٢ - كان ترك الزواج والإعراض عنه هو شرع يحيى عليه السلام وشرعنا وارد بخلافه لأنه نسخة فشرعنا أولى بالإتيان تمسكا بحال النبي ﷺ حيث أنه تزوج وبالغ في العدد^(٣) ، ولم يكن الله عز وجل يرضى لنبيه إلا بأشرف الأحوال ، وقد فعله الصحابة اقتداء به ﷺ .

وثبت أنه ﷺ أنكروا على عثمان بن مظعون ومن معه التبتل وعقب على ذلك فقال لهم «فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

٣ - ومن العجب أن من يفضل التخلي لم يفعله ، فكيف اجتمعوا على النكاح في فعله وخالفوه في فضله^(٤) .

٤ - ولأن مصالح النكاح أكثر من الانقطاع للعبادة ، ففي النكاح تحصين الدين واحرازه و تحصين المرأة والحفاظ عليها والقيام بشئونها ، وإيجاد النسل وتكثير الأمة ، وتحقيق مباهاة النبي ﷺ وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة^(٥) .

(١) يراجع المبسوط ج٤ / ١٣٩ .

(٢) يراجع شرح فتح القدير ج٣ / ١٨٨ - بدائع الصنائع ج٢ / ٣٤٤ - المبسوط ج٤ / ١٩٤ .

(٣) يراجع المبسوط ج٤ / ١٩٤ - المغني مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٨ - ١٣٩ .

(٤) يراجع المغني مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٨ .

(٥) يراجع بدائع الصنائع ج٢ / ٣٤٣ - المغني مع الشرح الكبير ج٩ / ١٣٩ .

المبحث الرابع

أنواع الأئكة عند العرب في الجاهلية

أتناول ههنا المبحث في ستة مطالب:

المطلب الأول: النكاح المعروف بين الناس اليوم ونكاح

الاستبضاع والرهنط والرايات

المطلب الثاني: نكاح الشغار

المطلب الثالث: نكاح الخلدن

المطلب الرابع: نكاح المقت

المطلب الخامس: نكاح الحائل

المطلب السادس: نكاح المتعة

وجدت في المجتمع العربي الجاهلي أنواع كثيرة من الأنكحة منها ما أقره الإسلام ومنها ما أبطله، وسأتناول بإيجاز شديد بعض أنواع الأنكحة التي كانت موجودة عندهم وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

النكاح المعروف بين الناس اليوم ونكاح الاستبضاع والرهنط والرايات

وهذا المطلب يحتوي على أربعة أنواع من الأنكحة ورد ذكرها في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي رواه عنها عروة بن الزبير^(١) وهذا نصه «عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح كان في الجاهلية على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها^(٢) ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها^(٣)، أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه^(٤) ويعتزلها زوجها ولا يلمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد^(٥) فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهنط^(٦) مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها^(٧)، فإذا حملت ووضعت حملها ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام أبو محمد الأسدي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة، جمع العلم والسيادة والعبادة، ولد سنة ٢٩هـ، وحفظ عن والده، وكان يصوم الدهر، ومات صائما سنة ٩٤هـ، واشتهر أنه قطعت رجله وهو في الصلاة لمرض بها ولم يتحرك قال الزهري: «رأيت به بحرا لا تدركه الدلاء» شذرات الذهب ج١/ ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) أي يعين صداقها ويسمى مقدارها ثم يعقد عليها.

(٣) أي طهرت من حيضها، وكان السر في ذلك أن يسرع علوقها به.

(٤) أي اطلبى منه المباشعة وهو الجماع لتحملي منه، والمباشعة: المشتقة من البضع وهو الفرج.

(٥) أي اكتسابا من ماء الفحل لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم في الشجاعة والكرم وغير ذلك.

(٦) الرهنط: من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، وكل منهما اسم جمع لا واحد من لفظة،

ولما كان هذا النوع من النكاح يجتمع عليه أكثر من واحد كان لا بد من ضبط العدد الزائد لئلا ينتشر.

(٧) أي كلهم يطؤها والظاهر أن ذلك إنما يكون عن رضا منها وتواطؤ بينها وبينهم.

كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يافلان تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ، ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لها القافة^(١) ثم أحقوا ولدها بالذي يرون فالتايط به^(٢) ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم^(٣) .

وبذلك يظهر أن الحديث جمع أربعة أنواع من الأنكحة التي كانت موجودة في المجتمع العربي الجاهلي وهذا بيانها بشيء من التفصيل اليسير .

١ - النكاح المعروف بين الناس اليوم وهو أن يذهب الرجل إلى الرجل فيخطب ابنته أو وليته فيصدقها ثم ينكحها ، وكان هذا النوع من أشرف أنواع الأنكحة عند العرب ، وعليه كانت تزوج عفيفات العرب والحرائر منهن .

٢ - نكاح الاستبضاع^(٤) ويعتمد على المباضعة ، وهو مشتق من البضع وهو الفرج ، وكانوا يفعلونه في الجاهلية فيبذلون نساءهم لسيد أو نجيب كل قبيلة أو فارسها أو كريمها طلبا لاكتساب ماء الفحل فتلد المرأة نجيبا أو شجاعا أو كريما^(٥) .

٣ - نكاح الرهط وصورته : كان الرهط من الرجال وهم مادون العشرة يجتمعون فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومَرَّ عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عليها فتقول لهم : قد

(١) القافة : جمع قائف وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية .

(٢) التايط به : أى استلحقه وأصل اللوط بفتح اللام اللصوق .

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى في صحيحه مع شرحه فتح البارى كتاب النكاح باب من قال لانكاح إلا بولى ج٩ / ٣٣٩ - ٢٣٠ حديث رقم ٥١٢٧ ، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الطلاق باب في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية ج٢ / ٩٧٨ حديث رقم ٢٢٧٢ ، وأخرجه على بن عمر الدارقطنى المولود سنة ٣٠٦ هـ والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ في سننه كتاب النكاح ج٣ / ٢١٦ - ٢١٧ طبعة عالم الكتب بيروت الطبعة الرابعة طبعة سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٤) معنى الإستبضاع : طلب المباضعة أى الجماعه وهى مشتقة من البضع بالضم وجمعه أبضاع مثل قفل وأقفال ، ويطلق البضع أيضا على الفرج والجماع ، ويطلق أيضا على التزويج كالنكاح ، وقيل البضع مصدر مثل السكر والكفر . المصباح المنير ص ٣٦ مادة : بضع .

(٥) سماحة الأستاذ / محمد الطاهر بن عاشور . تفسير التقرير والتحبير ج٥ / ٥ طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس .

عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدت فهذا بنك يافلان تسمى من أحبت باسمه فيلحق به الولد ولايستطع أن يمتنع منه .

٤ - نكاح الرايات وفيه أن البغايا^(١) كن ينصبن على أبوابهن الرايات علامة على أنهن من البغايا لايمنعن من جاء إليهن، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت احدهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا القافة فيلحقوا ولدها بالذى يرون فيدعى الولد إليه .

المطلب الثانى

نكاح الشغار

تعريف الشغار في اللغة: يطلق الشغار في اللغة على معان منها :

١. **الرفع:** يقال شجر الكلب يشجر شغرا إذا رفع إحدى رجله ليبول، وقيل رفع إحدى رجله بال أو لم يبيل، وشجر المرأة يشجر شغورا وأشغرها إذا رفع رجلها للنكاح .

٢. **الخلو:** يقال بلدة شاغرة إذا لم تمتنع من غارة أحد، وشغرت الأرض والبلد إذا خلت من الناس ولم يبق بها أحد يحميها ويضبطها .

٣. **الطرد:** يقال شغروا فلانا عن بلدة شغرا وشغارا إذا طردوه ونفوه . قال الفراء^(٢) والشعر: البعد ومنه قولهم بلد شاغر إذا كان بعيدا عن الناصر والسلطان، والشغور موضع في البادية، وفي النوادر بئر شاغر وبئر شغار كثيرة الماء واسعة الأعطان^(٣) .

تعريف الشغار اصطلاحا: هو أن يقول الرجل للرجل زوجته بنتى أو وليتى على أن تزوجنى بنتك أو وليتك على أن بضع كل واحدة منهما صداق للأخرى، أو يقول على

(١) البغايا: جمع بغى وهو وصف مختص بالمرأة، ولايقال للرجل بغى، وبغت المرأة تبغى بغاء بالكسر والمد فجرت فهى بغى، والبغى: القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الأصل . المصباح المنير ص ٤٠ مادة بغى .

(٢) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمى أبو زكرياء المعروف بالفراء إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب فيه: لولا الفراء ماكانت اللغة . ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد وعهد إليه المأمون بتربية ابنه، وكان يوزع ماله كله على أهله، توفى وهو في طريقته إلى مكة . من كتبه المقصور والمدود، والمذكر والمؤنث، اشتهر بالفراء ولم يعمل في صناعة الفراء لأنه كان يفرى الكلام، ولد سنة ١٤٤ هـ وتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
الأعلام ج٨ / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) يراجع لسان العرب ج٤ / ١٧ - ١٨ مادة شجر، الصحاح للجوهري ج٢ / ٧٠٠ مادة شجر .

أن صدق كل واحدة منهما صدق الأخرى، أو يقول إن صدق كل واحدة منهما بضع الأخرى^(١).

حكم نكاح الشغار:

اختلف الفقهاء في حكم نكاح الشغار على مذهبين:

المذهب الأول: أن نكاح الشغار باطل وإلى ذلك ذهب المالكية والشافعية وأحمد وإسحاق^(٢) إلا أن المالكية جعلوا النهي فيه متوجهاً إلى الصداق لأن فساد الصداق عندهم موجب لفساد النكاح، والشافعية جعلوا النهي فيه متوجهاً إلى النكاح لأن فساد الصداق عندهم لا يوجب فساد النكاح فصار مالك موافق في الحكم مخالف في معنى النهي^(٣).

المذهب الثاني: أن نكاح الشغار جائز ولكل واحدة منهما مهر مثلها، وإلى ذلك

(١) يراجع حول هذا المعنى: رد المختار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين ج٤ / ١٧٣ - ١٧٤، بداية الاجتهاد ونهاية المقتصد للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المولود سنة ٥٢٠هـ والمتوفى سنة ٥٩٥هـ ج١ / ٤٣٩ طبعة دار ابن حزم طبعة أولى طبعة سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م الحاوي الكبير ج١١ / ٤٤٤، التكملة الثانية للمجموع ج١٧ / ٤١٧، الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ج٥ / ٧٦ طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت طبعة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م المغني مع الشرح الكبير ج٩ / ٤٠٤ الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ج٣ / ٤١ طبعة دار الفكر بيروت طبعة أولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الخلى بالآثار ج٩ ص ١١٨.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهوية أبو يعقوب الخنظلي التيمي المروزي، ولد سنة ١٦١هـ، وهو أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه البخاري ومسلم وغيرهما، وقيل في سبب تلقيبه ابن راهوية أن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو «راهوية» أي ولد في الطريق، وكان ثقة في الحديث، وساد أهل المشرق والمغرب بحفظة، وصدقه، واجتمع له الحديث والفقه والحفظ والورع والصدق والزهد، وله تصانيف منها المسند، توفي سنة ٢٣٨هـ. الأعلام ج١ / ٢٩٢ - شذرات الذهب ج٢ / ٨٩.

(٣) يراجع الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للعلامة أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ج٣ / ٢٢٩، المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس ج٢ / ١٥٢ طبعة دار صادر بيروت، الحاوي الكبير ج١١ / ٤٤٥، المغني مع الشرح الكبير ج٩ / ٤٠٤، الخلى بالآثار ج٩ / ١١٩.

ذهب الإمام أبو حنيفة^(١) رحمه الله تعالى، وبه قال الزهري^(٢) والثوري^(٣) ومكحول^(٤) والليث^(٥) ورواية عن أحمد وإسحاق وأبي ثور^(٦،٧).

سبب الخلاف:

ذكر ابن رشد رحمه الله سبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة فقال: وسبب اختلافهم هل النهي المعلق بذلك معلل بعدم العوض أو غير معلل؟ فإن قلنا: غير معلل لزم الفسخ على الإطلاق. وإن قلنا العلة عدم الصداق صح بفرض صداق المثل، مثل العقد على خمر أو على خنزير. وقد أجمعوا على أن النكاح المنعقد على الخمر والخنزير لا يفسخ إذا فات بالدخول ويكون فيه مهر المثل، وكأن مالكا رضى الله عنه رأى أن

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه الكوفى مولى بنى تيم بن ثعلبة، ولد سنة ٨٠هـ رأى أنسا وغيره من الصحابة لكن لم تثبت له رواية عن أحد منهم، تفقه على حماد بن أبى سليمان وكان من أذكىاء بنى آدم جمع بين الفقه والعبادة والورع والسخاء، توفى سنة ١٥٠هـ. شذرات الذهب ج١ / ٢٢٧ - ٢٢٩، الأعلام ج٨ / ٣٦، طبقات الفقهاء ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبيد الله بن شهاب الزهري المدني أحد الفقهاء السبعة وأحد الأعلام المشهورين، وهو من كبار التابعين، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عنهم، وكان قوى الحفظ روى عنه أنه قال: «ما استودعت قلبى علما فنسيته، وكان إذا أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شىء فقالت له امرأته: والله إن هذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر، مات سنة ١٢٤هـ عن أربع وسبعين سنة. شذرات الذهب ج١ / ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) هو سفيان بن سعيد أبو عبد الله الثوري الإمام الفقيه سيد أهل زمانه علما وعملا قال عنه ابن المبارك كتبت عن ألف شيخ ومائة ما فيهم أفضل من سفيان الثوري، وأثنى عليه أئمة عصره بما يطول ذكره. توفى سنة ١٦١هـ عن ٦٦ سنة. شذرات الذهب ج١ / ٢٥٠ - ٢٥١.

(٤) هو مكحول بن عبد الله بن شاذل بن سعد بن شروان الكابلي الهذلي الدمشقي أبو عبد الله، كان فقيه أهل بغداد وأحد أوعية العلم والآثار، طاف الأرض في طلب العلم، وهو من التابعين، أرسل عن طائفة من الصحابة وسمع من أنس وأبي أمامة وخلق كثير، توفى سنة ١١٣هـ. شذرات الذهب ج١ / ١٤٦ - ١٤٧، طبقات الفقهاء ص ٧٠.

(٥) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحرث المصري أحد الأعلام، ولد بقرقشندة سنة ٦٤هـ، كان ثقة كثير الحديث وكان قد اشتغل بالفتوى في زمنه بمصر، وكان نبيلاً سخياً له ضيافة، قال الشافعي: كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه وكذا قال يحيى بن بكير مات سنة ١٧٥هـ. شذرات الذهب ج١ / ١٨٥ - ١٨٦.

(٦) هو إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان الكلبي البغدادي أبو ثور الفقيه صاحب الإمام الشافعي، كان أحد أئمة الدين فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً، صنف الكتب وفرع على السنن وذبح عنها يتكلم في الرأي فيخطيء ويصيب مات ببغداد شيخاً سنة ٢٤٠هـ. الأعلام ج١ / ٣٧.

(٧) يراجع البناية في شرح الهداية لأبى محمد محمود بن أحمد العينى ج٤ / ٦٧٩ طبعة دار الفكر الطبعة الثانية طبعة سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - المبسوط ج٥ / ١٠٥، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٩ / ٢٠٥.

الصداق وانه لم يكن من شرط صحة العقد - ففساد العقد هاهنا من قبل فساد الصداق -
مخصوص لتعلق النهى به ، أو رأى أن النهى إنما يتعلق بنفس تعيين العقد ، والنهى يدل
على فساد المنهى عنه^(١) .

الأدلة:

استدل جمهور الفقهاء على بطلان نكاح الشغار بالأحاديث الآتية :

١ - مارواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن
الشغار^(٢) .

٢ - مارواه أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا شغار في الإسلام »^(٣) .

٣ - واستدلوا كذلك بما رواه حميد عن الحسن عن عمران بن الحصين^(٤) عن رسول
الله ﷺ أنه قال « لا جلب^(٥) ولا جنب^(٦) ولا شغار في الإسلام »^(٧) .

(١) يراجع بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٤٤٠ .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخارى في صحيحه مع شرحه فتح البارى كتاب النكاح باب الشغار ج٩ / ٢٠٣ /
حديث رقم ٥١١٢ ، وأخرجه أيضا في كتاب الخيل باب الخيلة في النكاح ج١٢ / ٤١٥ / حديث رقم
٦٩٦٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه شرح النووي كتاب النكاح باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم
نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ج٩ / ٥٢٢ / حديث رقم ١٤١٥ .

(٣) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب النكاح باب النهى عن الشغار ج١ / ٦٠٦ / حديث
رقم ١٨٨٥ وقال في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات وله شواهد صحيحه ، وأخرجه النسائي في
سننه كتاب النكاح باب الشغار ج١ / ١١١ / وأخرجه الإمام أحمد في مسنده مع الفتح الرباني في
ترتيب المسند كتاب النكاح باب النهى عن نكاح الشغار ج١٦ / ١٩٦ ، وأخرجه ابن حبان في
صحيحه مع الإحسان في ترتيبه كتاب النكاح باب الشغار ج٦ / ١٨٠ / حديث رقم ٤١٤٢ .

(٤) هو عمران بن حصين الخزاعي ، كثير المناقب من السابقين في الإسلام ، بعثه عمر يفقه أهل البصرة
ويتولى قضاءها ، كان الحسن البصرى يحلف بالله ما قدمها خير لهم من عمران ، وكان يُسَمَع تسليم
الملائكة عليه ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر وتوفى سنة ٥٢ هـ . شذرات الذهب ج١ / ٥٨ .

(٥) الجلب : يكون في شيئين : أحدهما : في الزكاة وهو أن يقدم المتصدق على أهل الزكاة فينزل موضعا ثم
يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها فنهى عن ذلك وأمر أن تأخذ صدقاتهم على
مياهم وأماكنها . «الثانى» من السباق وهو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره ويجلب عليه ، ويصبح حشا
له على الجرى فنهى عن ذلك .

(٦) الجنب : بالتحريك في السباق أن يجنب فرسا إلى فرسه الذى يسابق عليه فإذا فتر المركوب تحول إلى
الجنوب ، وهو في الزكاة أن ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه
أى تحضر فنهوا عن ذلك .

(٧) حسن صحيح : أخرجه الترمذى في سننه كتاب النكاح باب ماجاء في النهى عن نكاح الشغار
ج٣ / ٤٢٢ / حديث رقم ١١٢٣ ، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في الجلب على الخيل في
السباق ج٣ / ١١١٩ / حديث رقم ٢٥٨١ ، وأخرجه النسائي في سننه كتاب النكاح باب الشغار
ج٦ / ١١١ ، وأخرجه الدارقطنى في سننه كتاب السبق بين الخيل ج٤ / ٣٠٣ .

وجه الدلالة: دلت الأحاديث السابقة على نهى النبي ﷺ عن نكاح الشغار والنهي يقتضى فساد المنهى عنه مالم يصرف عنه دليل ولم يوجد دليل^(١).

واستدل أصحاب المذهب الثانى على جواز نكاح الشغار بماأتى :

١ - أن النهى فى الأحاديث متوجه إلى الصداق، لأنه لو قال كل واحد منهما قد زوجتك ابنتى على أن تزوجنى ابنتك كان النكاح جائزا، وإنما أبطله إذا قال على أن صداق كل واحدة منهما بضع الأخرى فدل على أن النهى متوجه إلى الصداق وفساد الصداق لا يوجب فساد النكاح كما لو تزوجها على خمر أو خنزير^(٢).

٢ - واستدلوا أيضا: على ما لو قال ولى الزوجة للزوج زوجتك بنتى على أن صداقها طلاق امرأتك فيصح النكاح وإن جعل الصداق بضع زوجته^(٣).

٣ - أن النهى الوارد إنما كان من أجل اخلائه عن تسمية المهر، وتركه بالكلية عادة الجاهلية لا لعين النكاح فأشبهه البيع وقت النداء، والنكاح لا يبطله خلوه من تسمية المهر كالمفوضة^(٤).

مناقشة الأدلة:

مناقشة أدلة الجمهور:

ناقش الحنفية أدلة الجمهور فقالوا:

١ - قولكم إن النهى يقتضى فساد المنهى عنه مالم يصرف عنه دليل اعترض عليه بأن النهى متوجه هنا إلى الصداق فقط دون النكاح وذلك لا يوجب فساد العقد.

أجاب الجمهور على ذلك بجوابين:

الجواب الأول: أن النهى توجه إلى النكاح لحديث ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن الشغار^(٥).

(١) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٤٥ .

(٢) يراجع المبسوط ج٥ / ١٠٥ .

(٣) يراجع نفس المرجع السابق ج٥ / ١٠٦ .

(٤) يراجع البناية فى شرح الهداية ج٤ / ٦٧٩ .

(٥) الحديث سبق تخريجه ص ٥٥ .

الجواب الثاني: أنه يحمل على عموم الأمرين^(١).

٢ - أن الشغار سمي شغارا لخلوة من صداق ونحن لانخليه من صداق لأننا نوجب فيه صداق المثل فامتنع أن يكون شغارا^(٢).

أجيب عن ذلك: بأن هذا فساد لأنه ليس يمنع ما أوجبتموه من الصداق بعد العقد من أن يكون نكاح الشغار وقت العقد وقد توجه النهي إليه فاقضى فساد^(٣).

مناقشة أدلة الحنفية:

ناقش جمهور الفقهاء أدلة الحنفية بما يأتي:

١ - القول بأن فساد الصداق لا يوجب فساد النكاح مردود لأن الفساد إنما كان في الشغار للإشتراك في البضع، وفي هذا الموضع لا يكون في البضع اشتراك فصح، بدليل أنه لو قال زوجتك بنتي على أن تزوجني بنتك على أن بضع بنتي صداق بنتك بطل نكاح بنته لأنه حصل في بضعها اشتراك، ولم يبطل نكاح الأخرى لأنه يحصل في بضعها اشتراك.

٢ - استدلالكم بأنه لو جعل صداق ابنته طلاق زوجته صح فكذلك هاهنا.

فالجواب عنه: أنه فساد اختص بالمهر، ولم يحصل في البضع شريك فلذلك صح وليس كذلك في مسألتنا^(٤).

الراجع:

هو رأى جمهور الفقهاء وذلك لاستدلالهم بالسنة الصحيحة على بطلان نكاح الشغار وفساده وذلك يدل على قوة أدلتهم، أما أدلة المخالفين فقد تم ردها بعد مناقشتها خاصة وأن الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم كانوا يعملون بهذه الأحاديث، ويتحاشون التعامل بهذا النكاح فيما بينهم، «فهذا هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج يروى أن العباس بن عبد الله بن العباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته، وأنكحه عبد

(١) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٤٥.

(٢) يراجع نفس المرجع السابق في نفس الموضع المشار إليه سابقا.

(٣) يراجع الحاوى الكبير ج١ / ٤٤٥.

(٤) يراجع الحاوى الكبير ج١١ / ٤٤٦.

الرحمن ابنته وكاننا جعلنا صداقا فكتب معاوية إلى مروان يأمره بالتفريق بينهما وقال في كتابه: هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله ﷺ^(١) فكون معاوية وهو صحابي جليل يكتب إليهما يأمرهما بالتفريق مع وجود الصداق مخافة أن يكون هذا النكاح فيه شبه الشغار الذي نهى عنه النبي ﷺ يجعلنا نسير مع رأى جمهور الفقهاء القائلين بفساد هذا النكاح.

المطلب الثالث

نكاح الخديج^(٢)

وهو أن يكون للمرأة خدن يزنى بها، أى خليل يزنى بها سرا، فلاتبذل نفسها لكل واحد. وقد كان الزنا في الجاهلية على قسمين: سر وعلانية، وعام وخاص.

فالخاص السرى: هو أن يكون للمرأة خليل يزنى بها سرا فلاتبذل نفسها لكل واحد.

والعام الجهرى: هو المراد بالسفاح، وقد قيل البغاء، كما ذكره ابن عباس.

وقد روى عن ابن عباس أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما ظهر من الزنا ويقولون: هولؤم، ويستحلون ما خفى ويقولون لا بأس به، ولتحريم القسمين نزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(٣، ٤) والمراد بتحريمهم الزنا العلانية استقباحه ويعدون من يأتيه لثيما^(٥).

(١) حديث حسن: أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب في الشغار ج٢/ ٨٨٧- ٨٨٨ حديث رقم ٢٠٧٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده مع الفتح الرباني في ترتيب المسند كتاب النكاح باب مذاهب العلماء في حكم نكاح الشغار ج١٦/ ١٩٦.

(٢) الخدن في اللغة: الصديق والجمع خدناء وأخدان، والخدن والخدين الذى يخادتك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن، وخن الجارية محدثها وكانوا في الجاهلية لا يمتنعون من خدن يحدث الجارية فجاء الإسلام فهدم الخادنة والمصاحبة. المصباح المنير ص ١٠٢ مادة خدن، مختار الصحاح ص ١٠٤ مادة خدن.

(٣) سورة الأنعام جزء من الآية رقم (١٥١).

(٤) محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج٥/ ٢٢- ٢٣ طبعة دار المعرفة بيروت لبنان. طبعة ثانية. طبعة سنة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

(٥) يراجع جامع البيان للطبرى ج٤/ ١٤، الجامع لأحكام القرآن ج٥/ ٩٤.

المطلب الرابع

نكاح المقت (١)

ومعناه: أن بعض العرب في الجاهلية كانت تغلب عليهم الحمية فيكره أن يعمر فراش أبيه رجلاً غيره فيعلوه هو عليه^(٢) فيستحل نكاح امرأة أبيه، فإذا مات أبوه ورث نكاحها عنه فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣، ٤).

وقد ذكر الإمام السرخسى في كتابه المبسوط أن العرب في الجاهلية كانوا فريقين:

(أ) فريق يعتقدون الإرث في منكوحة الأب ويقولون: إن ولد الرجل إن لم يكن منها يخلفه في نكاحها، كما يخلفه في ملكه فيطأها بغير عقد جديد رضيت أو كرهت وفيه نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا﴾ (٥).

(ب) وبعضهم كانوا يعتقدون أنها تحل لهم بعقد جديد، وأنه متى رغب فيها فهو أحق بها من غيره، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (٦) وكانوا في الجاهلية يسمون الولد الذى يكون بينهما ولد المقت، وإليه أشار القرآن الكريم ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٧، ٨).

(١) المقت لغة: أشد البغض ويقال للمولود له المقتى قاله الزجاج، وقال ابن سيده المقتى: هو الذى يتزوج امرأة أبيه وهو من فعل الجاهلية، وتزوج المقت فعل ذلك. المصباح المنير ص ٣٤٢ مادة مقت، مختار الصحاح ص ٣٣٨ مادة مقت.

(٢) يراجع أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى المولود سنة ٤٦٨ هـ والمتوفى سنة ٥٤٣ هـ ج ١ / ٣٦٩ تحقيق / على محمد البجاوى طبعة دار الجليل بيروت لبنان. طبعة سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٣) سورة النساء الآية رقم (٢٢).

(٤) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٥ / ٦٩.

(٥) سورة النساء من الآية رقم (١٩).

(٦) سورة النساء صدر الآية رقم (٢٢).

(٧) سورة النساء عجز الآية رقم (٢٢).

(٨) يراجع المبسوط ج ٤ / ١٩٨.

المطلب الخامس

نكاح المحلل (١)

وهو أن يتزوج امرأة طلقها غيره ثلاثا ليحلها لزوجها، وأنه متى أصابها طلقها فهذا هو المحلل الذي ورد في الحديث عن النبي ﷺ بلعنه (٢) في الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ «لعن المحلل والمحلل له» (٣) وفي الحديث الذي رواه ابن مسعود أيضا أنه ﷺ «لعن المحلل والمحلل له» (٤) وهو نكاح حرام باطل في قول عامة أهل العلم منهم الحسن والنخعي وقتادة ومالك والليث والثوري وابن المبارك والشافعي (٥)، وذلك لمنافاته مقتضى النكاح ومقصوده، ولأن المقصود بهذا النكاح إباحة البضع لغير النكاح فوجب أن يفسخ ولأنه عقد وقع على وجه محذور استحق عاقده به اللعن فوجب أن يكون باطلا أصلا كشراء الخمر (٦)، ولأنه نكاح شرط فيه انقطاعه قبل غايته فوجب أن يكون باطلا (٧) وحكى عن أبي حنيفة: أنه يصح النكاح ويبطل الشرط. وهذا ماسأقوم بمعالجته في موضعه من البحث إن شاء الله تعالى.

(١) المحلل: بكسر اللام هو الذي تزوج مطلقة الغير ثلاثا على قصد أن يطلقها بعد الوطء ليحل للمطلق نكاحها وكأنه يحللها على الزوج الأول بالنكاح والوطء. والمحلل له: هو الزوج. وسبب لعن النبي لهما: فذلك بالنسبة للمحلل له فظاهر لما فيه من هتك المروءة وقلة الحمية والدلالة على خسة النفس وسقوطها، وبالنسبة للمحلل فلأنه يعد نفسه بالوطء لغرض الغير فهو إنما يطؤها ليعرضها لوطء المحلل له، ولذلك مثله النبي ﷺ بالتيس المستعار. الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ج١٦/ ١٩٤.

(٢) يراجع الكافي في فقه أهل المدينة المالكي للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ص ٢٣٨ طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان طبعة ثانية ط سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، الحاوي الكبير ج ١١ / ٤٥٥، المغنى مع الشرح الكبير ج ٩ / ٤٠٨.

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب في التحليل ج ٢ / ٨٨٨ حديث رقم ٢٠٧٦، وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب في المحلل والمحلل له ج ١ / ٦٢٢ حديث رقم ١٩٣٥.

(٤) حسن صحيح: أخرجه الترمذي في سننه كتاب النكاح باب ماجاء في المحلل والمحلل له ج ٣ / ٤١٩ حديث رقم ٢٦٩١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده مع الفتح الرباني في ترتيب المسند كتاب ماجاء في نكاح المحلل والمحلل له ج ١٦ / ١٩٤.

(٥) يراجع المغنى مع الشرح الكبير ج ٩ / ٤٦٤.

(٦) يراجع المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للباي ج ٣ / ٣٠٠ طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان. طبعة ثالثة سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٧) يراجع الحاوي الكبير ج ١١ / ٤٥٦.

المطلب السادس

نكاح المتعة

تعريف نكاح المتعة^(١): هو أن يقول الرجل للمرأة أمتعيني بنفسك شهرا أو موسم الحج أو ما أقمت في البلد، أو يذكر ذلك بلفظ النكاح أو التزويج لها أو لوليها، بعد أن يقدره بمدة إما معلومة أو مجهولة^(٢).

حكم نكاح المتعة:

أجمع العلماء على أن نكاح المتعة باطل، وهذا قول عامة الصحابة والفقهاء، وممن روى عنهم تحريمها عمر وعلي^(٣) وابن مسعود وابن عمر^(٤) وابن الزبير^(٥) قال ابن

(١) تسمية المتعة بالنكاح تسمية خاطئة وتصور خاطيء جدا، والسبب في ذلك: أن المتعة شيء والنكاح شيء آخر فهما ضدان لا يجتمعان «فالمتعة» توافق بين الرجل والمرأة على المباشرة «والنكاح» توافق بين رجلين الزوج وولي الزوجة بصداق وشهود على الاستمتاع بالمرأة، فلو كان التعاقد في النكاح تم بهذه الصورة حتى ولو على ساعة من نهار فلا يفسد العقد والعقد صحيح بغض النظر عن صحة قبول الشرط أم بطلانه، فلو كان العقد باطلا فهو الذي يسقط ويظل الترابط الزوجي صحيحا. يراجع الخلى بالآثار ج٩/ ١٢٩.

(٢) يراجع شرح فتح القدير ج٣/ ٢٤٦، الإختيار لتعليل الاختار للعلامة عبد الله بن محمود بن مودود الموصلى الخفى ج٣/ ١٢٠ تحقيق / على عبد الحميد أبو الخير ومحمد وهبى سليمان طبعة دار الخير طبعة أولى طبعة سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، المبسوط ج٥/ ١٥٢، أو جز المالك إلى موطأ الإمام مالك للعلامة / محمد زكريا الكاندهلوى ج٩/ ٤٠٢ طبعة دار الفكر طبعة سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م الحاوى الكبير ج١١/ ٤٤٩، الأم ج٥/ ٧٩، المغنى مع الشرح الكبير ج٩/ ٤١٣، ٤١٤، الخلى بالآثار ج٩/ ١٢٧، التعريفات لعلى بن محمد بن على الجرجاني المولود سنة ٧٤٠هـ والمتوفى سنة ٨١٦هـ صفحة ٣١٥ تحقيق / إبراهيم الإيبارى طبعة دار الكتاب العربى.

(٣) هو على بن أبى طالب بن هاشم بن عبد مناف أمير المؤمنين سامى المناقب ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة أبو الحسين، وأول من أسلم من الصبيان لم يشرك بالله شيئا وشهد المشاهد كلها وحمدت مواقفها وكان اللواء معه في أكثرها، كان شجاعا مقداما من فقهاء الصحابة، وهو رابع الخلفاء الراشدين، ومدة خلافته أربع سنين وأشهر وأيام، فضائله ومناقبه كثيرة لا يمكن حصرها قتله عبد الرحمن بن ملجم وهو خارج إلى الصلاة سنة ٤٠هـ وهو ابن ٦٣ سنة وقيل ٥٨ سنة. شذرات الذهب ج١/ ٤٩ إلى ٥٢ طبقات الفقهاء ص ٢٢- ٢٣.

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى أبو عبد الرحمن المكي أسلم قديما وهو صغير، وهاجر مع أبيه واستصغر في أحد، ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها، قال فيه النبى: إن عبد الله رجل صالح مات سنة ٧٣هـ وقيل ٧٤هـ تهذيب التهذيب ج٥/ ٢٨٧- ٢٨٨.

(٥) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدى أبو بكر. أمه أسماء بنت أبى بكر، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من قريش، روى عن النبى ﷺ وعن أبيه وعن جده أبى بكر وخالته عائشة وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، وحضر وقعة اليرموك، وشهد خطبة عمر بالجابية، وبويع له بالخلافة عقب موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ وقيل ٦٥هـ، وغلب على الحجاز والعراق واليمن ومصر وأكثر الشام، وكانت ولايته تسع سنين قتله الحجاج بن يوسف في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ في قول الأكثرين. الأعلام ج٤/ ٨٧- تهذيب التهذيب ج٥/ ١٨٧.

عبد البر: «وعلى تحريم المتعة مالك وأهل المدينة وأبو حنيفة في أهل الكوفة والأوزاعي^(١) في أهل الشام، والليث في أهل مصر، والشافعي وسائر أصحاب الآثار»^(٢).

وحكى عن ابن عباس أنها جائزة وعليه أكثر أصحاب عطاء وطاوس وبه قال ابن جريج وحكى ذلك عن أبي سعيد الخدرى وجابر وإليه ذهب الشيعة الإمامية^(٣).

وقد استدل جمهور الفقهاء بأدلة من الكتاب والسنة والقياس والأثر وفي المقابل استدل ابن عباس ومن سلك مسلكه بأدلة من الكتاب والسنة والقياس والأثر ولاداعي لذكر أدلة كلا الطرفين منعا للتطويل خاصة ونحن في الفصل التمهيدى.

إلا أننى أذكر أن الرأى الراجح هو ماذهب إليه جمهور الفقهاء من القول بتحريم نكاح المتعة وذلك لأن المتعة كانت مباحة في صدر الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير وسبب إباحتها: أن أسفارهم كانت في الحر الشديد وكان صبرهم عن النساء قليل، وقد ثبت نهى النبي ﷺ عنها في مواطن متعددة كيوم خيبر ويوم أوطاس ويوم فتح مكة وفي غزوة تبوك وعمرة القضاء، وقد أكد ﷺ هذا النهى في حجة الوداع لاجتماع الناس وليعلم الشاهد الغائب، ولتمام الدين وكمال الشريعة إلى يوم القيامة^(٤)، وأما ما روى عن ابن عباس في القول بإباحتها فقد روى عنه الرجوع عن ذلك القول^(٥). فقد روى سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: لقد كثرت القالة في المتعة حتى قال الشاعر:

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقى الفقيه المأمون من كبار تابعى التابعين، وأئمتهم البارعين كان رأسا في العلم والعمل، جم المناقب وإمام أهل الشام في زمنه أفتى في سبعين ألف مسألة، وقيل ثمانين ألف ولد ببعلبك سنة ٨٨هـ، ومات في الحمام بعد أن أغلقت عليه زوجته باب الحمام ونسبته سنة ١٥٧هـ. شذرات الذهب ج١ / ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) يراجع الإختيار لتعليل المختار ج٣ / ١٢٠ - المبسوط ج٥ / ١٥٢، أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ج٩ / ٤٠٢، الحاوى الكبير ج١١ / ٤٤٩، التكملة الثانية للمجموع ج١٧ / ٤٢١ المغنى مع الشرح الكبير ج٩ / ٤٦٠، اخلى بالآثار ج٩ / ١٣٠.

(٣) يراجع الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيدى / السعيد بن محمد بن جمال الدين المكى العاملى وزين الدين الجعبي العاملى ج٥ / ١٨٤ طبعة دار التعارف للمطبوعات بيروت - لبنان.

(٤) يراجع صحيح مسلم شرح النووى ج٩ / ٥٠٦.

(٥) يراجع المبسوط ج٥ / ١٥٢.

أقول وقد طال الشواء بنا * يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس
هل لك في رخصة الأطراف آنسة * تكون مثواك حتى مصدر الناس
فقام ابن عباس خطيبا وقال : إن المتعة كالميتة والدم ولحم الخنزير فأما إذن رسول الله
ﷺ فقد ثبت نسخة^(١).

وثبت أيضا أن ابن عبد الله بن الزبير ناظر عبد الله بن عباس في فتواه بجواز نكاح
المتعة مناظرة مشهورة قال له فيها ابن الزبير «فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك»
فكون ابن الزبير يقول هذا القول لابن عباس فقله محمول على أنه أبلغه الناسخ لها
ولم يبق شك في تحريمها فقال «إن فعلتها بعد ذلك ووطئت فيها كنت زانيا ورجمتك
بالأحجار التي يرمم بها الزاني»^(٢).

(١) يراجع المغنى ج٩ / ٤٦٢ .

(٢) يراجع صحيح مسلم شرح النووي ج٩ / ٥١٣ .

المبحث الخامس في المانع وما يتعلق به

أتناول هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المانع في لغة العرب واصطلاح

الفقهاء مع بيان أقسامه .

المطلب الثاني: في بيان الموانع الدائمة والمؤقتة للزواج.